

السنة الحادية عشرة - العدد ١٣١ - غرة ذى القعدة ١٣٩٥ هـ - نوفمبر ١٩٧٥ م

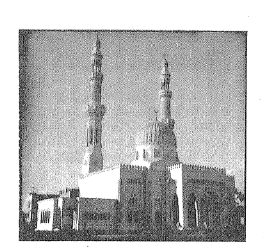
وأن المساجد لله
فلا تدعوا مع الله أحدا

مؤتمر
رسالة
المسجد

اقرأ في هذا العدد



صورة الغلاف :



((وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً)) ..
روعة الفن الاسلامى ممثلة فى مسجد مدينة الفيوم بمصر .

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافيــة شهرية

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX : 23667

السنة الحادية عشرة

العــــدد : ١٣١

غرة ذى القعدة ١٣٩٥ هـ ــ نوفمبــر ١٩٧٥ م

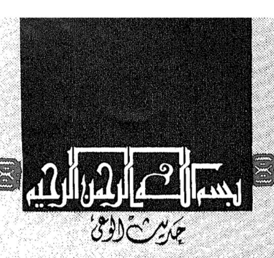
هــدفها : المزيــــد من الوعى ، وايقـــاظ الروح ، بعيــدا عن الخلافــات المذهبيـــة والسياسيـــة

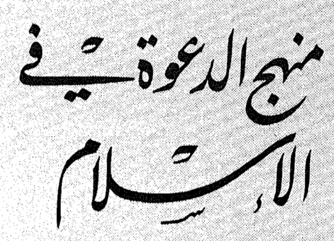
تصدرها وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلاميـــة بالكويــت فــى غــرة كــل شهــر عــربى

عنــــوان المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامى ــ وزارة العدل والاوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ٢٣٦٦٧ ــ كويت ــ هاتــف : ٤٣٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨





الدعوة الى الله مهمة جليلة وعمل ضخم ، يتطلب كفايات مؤمنة متميزة ، وينبغي ان توفر لهذه الرسالة العظيمة الامكانيات اللازمة ، وأن يجند لها نوعيات مختارة ، تتوفر لها الثقافة الواعية ، والادراك العميق ، والاحاطة الشاملة بمتطلبات العصر ، والقدرة على حل مشاكله ، والفصل في قضاياه ، على ضوء الاسلام وتعاليمه .

والدعوة في جوهرها تقوم على بناء الانسان عقلا وفكرا وروحا .. بناء عقله بالعقيدة المستنيرة ، وفكره بالثقافة الراشدة ، وروحه بافساح المجال أمامها لترتوي من ورد الله العذب الطهور ..

ومن هنا تأتي صعوبة الدعوة ، لأن بناء الانسان ليس أمرا سهلا ، فهو كائن معقد ، تتصارع في داخله قوى مختلفة ، وتسيطر عليه رغبات ، وتتجاذبه شهوات جامحة ، وهو من أجل هذا كثير اللدد والخصومة كما حكى القرآن عنه في قول الحق سبحانه : (وكان الانسان اكثر شيء جدلا) ٥٤/الكهف .. ومن هنا كانت مهمة الداعية من أشق المهام واصعبها ، لاسيما في هذا العصر الذي نعيش فيه ، فهو عصر يعاني جفافا روحيا وتكالبا على مادة الحياة ومتاعها ،

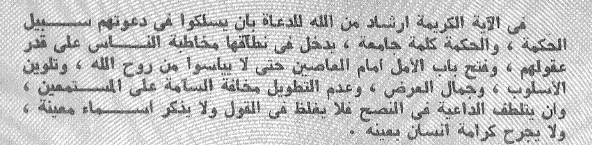
ومن اجل هذا الصراع الرهيب على مطالب البدن ، فسد التصـــور ، وارتكس الفكر واضطربت الموازين والمقاييس ، حتى اوشك ان يصبح المعروف منكرا ، والمنكر معروفا .. !

وقد يكون الخطب هينا لو ان الاسلام كان فى مامن من غارات الحاقدين ، وقذائف الأعداء .. ولكن الاسلام يتعرض لتيارات فكرية ضالة ، وغزو عقائدى خبيث ، فنحن احوج ما نكون فى هذه الحرب المعلنة علينا من كل جانب ، الى تقوية حصوننا من الداخل ، وبناء خط دفاعى متين ، بصد الهجمات المتلاحقة ، التى لا تستهدف سوى القضاء على الاسلام . فلا بد من جهـــود مكثفة لتعميق الايمان فى القلوب ، وغرس مبادئه فى النفوس ، وتوثيق الصـــلة بين القول والعمل ، فان اخطر ما تصاب به المجتمعات الاسلامية ، ان تمتلىء حياتهـــا بالكلام مكتوبا كان او مسموعا ، ثم هى لا تزال واقفة فى مكانها لا تتحرك خطوة نحو العمل الجاد ، والتطبيق المثمر لما بين يديها من وحى السماء (يايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله ان تقـــولوا ما لا تفعلون) ٢ و ٣/الصف .

فلا بد ان تقوم دعوتنا الى الاسلام على ركائز لا تميد ولا تهتز .. ولن يتم هذا الا بدعاة الى الله على هدى ووعى (اما ان نترك ميـــدان الدعوة هكذا بلا حراسة ، وان نترك ابوابه مفتحة ليقتحمه كثيرون ممن لا يحسنون التوجيه ، وليست لديهم القدرة على قيادة الجماهير ، فهذا هو الذى عزل الاســـلام عن الحياة ، وحبسه فى دائرة المسجد لا يتعداه الى دنيا الناس) .. !

والقرآن الكريم يقيم لنا الأسس الصالحة التى تنهض عليهـــا الدعوة ، ويعطينا المبادىء التى تصنع الداعية ، الذى ينشيء الحياة الايمـــانية ، ويدعم القيم فى نفوس الناس ، ويعرض الاسلام عليهم عرضا يرغبهم فيه ، ويشوقهم اليه وذلك حين يضع ايديهم على منابعه العذبة الصافية ، وعنـــاصر الدعوة الناجحة التى اشار اليها القرآن الكريم : « الحكمة ، والبصـــيرة ، والعلم ، والعمل » .

يقول الله عز وجل : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) .



في الآية الكريمة ارشاد من الله للدعاة بان يسلكوا في دعوتهم سبيل الحكمة ، والحكمة كلمة جامعة ، يدخل في نطاقها مخاطبة الناس على قدر عقولهم ، وفتح باب الأمل أمام العاصين حتى لا ييأسوا من روح الله ، وتلوين الأسلوب ، وجمال العرض ، وعدم التطويل مخافة السآمة على المستمعين ، وان يتلطف الداعية في النصح فلا يغلظ في القول ولا يذكر أسماء معينة ، ولا يجرح كرامة انسان بعينه .

ويقول الله تعالى على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو افضل من دعا الى الله على بصيرة :

(قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة) .

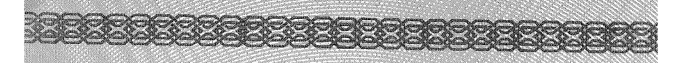
والبصيرة تعني رقة القلب ، واشراق الروح ، وصفاء النفس ، والتجرد لله ، والاخلاص في الموعظة . واذا كان العلم ممزوجا بالتقوى فان الداعية يتحدث بنور الله ، فتخرج موعظته من القلب فتقع في القلب .

وكما ان الشمس ترسل الضياء بطبيعتها ، وتفيضه على الكون في سهولة ويسر ، لا تتكلف في ذلك عسرا ، ولا تبذل جهدا ، كذلك يتفجر العلم النافع من نبع التقوى ، فيأخذ طريقه الى عقول الناس وقلوبهم ، فيقع موقع الرضى والقبول فتنقاد له النفوس ، وتذعن له القلوب .

ويقول عز من قائل :

(فلنقصن عليهم بعلم) .

وهنا يأتي دور الدراسة الواعية ، القائمة على العلم الصحيح ، الخالي من الأساطير والقصص الرديء الذي أضافته الاسرائيليات فغير وجه الحقائق الاسلامية وكدر نبعها الصافي واذا كان الله تبارك وتعالى يتحدث الينا بالعلم ، ويدبر شئون الكون ومصالح العباد بالعلم المحيط بكل شيء ، فجدير بنا ان نتخلق بأخلاق الله الذي يقول سبحانه : (فلنقصن عليهم بعلم) وهذه الكلمة الجليلة « بعلم » تعني التخصص الذي يجعل من الداعية رجلا مستنيرا واسع الافق ، ملما بالقضايا المعاصرة ، يعالجها على ضوء الاسلام ، ويحل مشاكلها بهدى السماء وتعاليم الأنبياء .. واذا كانت فروع العلم تقوم على التخصص والتعمق



في البحث والدراسة فكذلك شئون الدين من الفتـــوى ، والدعوة الى الله ، ينبغي ان يجند لها الخبراء العلماء ، بحيث لا يتناول شرح قضايا الاسلام وتقديمه للناس الا رواده العالمون باسراره وهذا كفيل بان يبعد عن مجال الدعوة كل دخيل عليها ، وغريب عنها .

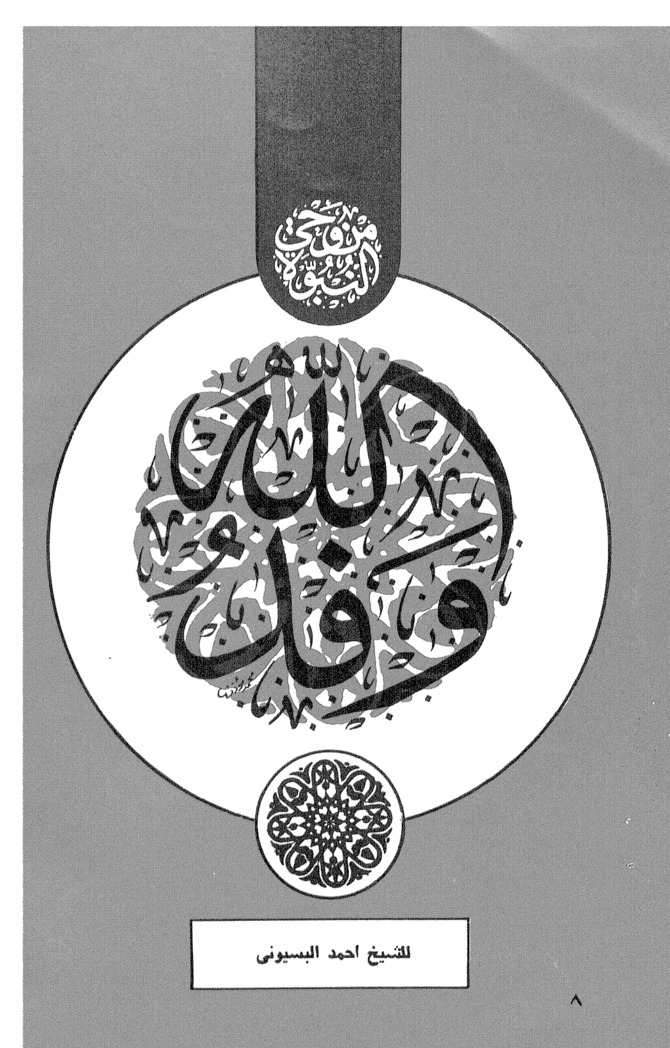
ثم يقول الحق تبارك وتعالى :
(ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) ٣٣/فصلت .

وهنا ياتي عنصر التطبيق والعمل . فلا بد ان يكون المربي عاملا بمـــا يقول ، متحليا بما يدعو اليه من الفضائل ومكارم الاخلاق . فذلك يكسب دعوته ثقة الناس به ، ويعطي كلامه قوة تجمع الناس حوله وتشدهم اليه ، وان اخطر ما تصاب به الامم ان ينفصـــل فيها القول عن العمـــل ، فيرغب الدعاة في فضائل هم ابعد الناس عنها ، ويعرضون قضية هم لا يؤمنون بها ، ولا يقتنعون بجدواها . حينئذ تذهب صيحاتهم ادراج الرياح ، وتضيع جهودهم ســـدى ، فليس من العقل او الحكمة ان نامر بما لم ناتمر به (اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون) ٤٤/البقرة .

ان الموعظة هي احسن كلمة تقال في الارض ، وهي في مقدمة الـــكلم الطيب الذي يصعد الى السماء ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة ، ومع التواضـــع لله الذي تتوارى معـــه الذات . فلا يغتر الداعي بمركزه ، ولا يتعالى على الناس بانه تصدى لارشادهم وقيادتهم ولكنه يعمل صالحا ويقول « انني من المسلمين » فهو واحد من الجماعة الاسلامية ، لا يدعي انه في مكان الصدارة او الرياسة وبذلك تصبح الدعوة خالصة لله ليس للداعية فيها شـــان الا انه واحد من الناس مبلغ عن الله .

التحرير




من وحي النبوة
للشيخ احمد البسيونى

عن ابن عمر رضي الله عنهما
أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم:
من الحاج؟ قال: «الشعث التفل»، قال: فأي
الحج أفضل؟ قال: «العج والثج» قال: وما السبيل؟
قال: «الزاد والراحلة». «رواه ابن ماجه بإسناد حسن»

من مفردات الحديث :

الشعث – بكسر العين – المتلبد الشعر، البعيد العهد بتسريحه وغسله . قال في المصباح : شعث الرجل من باب تعب : تغير وتلبد شعره ، لقلة تعهده بالدهن ، ورجل اشعث ، وامرأة شعثاء .

والتفل – بفتح التاء المثناة فوق وكسر الفاء – هو الذى ترك استعمال الطيب .

والعج – بفتح العين المهملة ، وتشديد الجيم – هو رفع الصوت بالتلبية ، وقيل بالتكبير .

والثج – بالثاء المثلثة – هو سيلان دم الهدى والأضاحى وذلك بنحرها تقربا الى الله تعالى .

يقال : ثج الماء من باب رد ، اذا انصب بكثرة ، وثجه صبه كذلك ، والماء الثجاج ، المطر المنصب بغزارة وشدة .

الشرح والبيان :

الحج رحلة ربانية . تهفو اليها القلوب في رغبة دافعة ، وشوق عارم ، ويحدوها الحنين الى منازل لها في النفوس منازل ! والى مواقف ترتبط بها ذكريات عزيزة كريمة ..

ولم يشرع الحج ، لمجرد الانتقال بالبدن من بلد الى بلد ، ولكنه سمو بالروح ، وارتقاء بالمشاعر ، وتفجير لأكرم العواطف وانبلها ، وتطبيق عملي لمبادىء الاسلام الخالدة ..

نعم .. ليس الحج رحلة سياحية، يراد بها الترفيه ، وارتياد أماكن للتعرف عليها ، وكشف مجهولها، ولكنه مخطط سماوى ، الهدف منه ، تسوية الصفوف المبعثرة ، وجمع القوى المتفرقة ،وتنسيق الجهود المتنافرة ، وصيانة الحقوق المشروعة ، ورعاية المصالح المشتركة ، وربط المسلمين بتاريخهم المجيد ، يسعى المؤمنون الى ساحة الله وحرمه الآمن ، رجالا وعلى كل ضامر ، يأتين من كل فج عميق ، ليعلنوا منهجهم في الحياة ، وليجددوا المعالم على طريقهم الى الله ، وليشهدوا منافع لهم .

والحجاج وفد الله ، او ملائكته من البشر ، يمشون مطمئنين على هذه الأرض ، واذا انتظموا في هذا الموكب الجليل ، فلا رفث ولا فسوق ولا

جدال في الحج ، يتجردون من المخيط ، ليتجردوا من جواذب المادة، وهواتف النفس ، ونوازع الغرور ، ويطوفون حول البيت، ليترجمواعقيدة التوحيد الى عمل متحرك ، فهم يستقبلون بيتا واحدا ، ويعبدون ربا واحدا ، ويتبعون نبيا واحدا ، ويحكمون فيما بينهم دستورا واحدا فهم عند قول ربهم : **(إن هذه أمتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)** الأنبياء /٩٢ . ويسعون بين الصفا والمروة ، ليجددوا ذكرى المؤمنة المهاجرة « هاجر » وهي تهرول بين الجبلين ، لتبحث عن الماء لولدها الظامىء « اسماعيل » ! معلنة للمؤمنين والمؤمنات ، أن الجهاد في سبيل المبادىء ، من اقدس الواجبات ، وأن من توكل على الله ، فقد آوى الى ركن شديد ..

ويقفون بعرفة ، ليشهدوا اعظم مؤتمر اسلامى ، يسوده الحب والتآلف ، ويتم فيه التشاور والتعارف ، ويفيض منه المسلمون ، وقد تزودوا بزاد روحى ، يحملونه الى أطراف الأرض ، ويبلغونه قومهم اذا رجعوا اليهم ، ويرمون الجمرات، ليتدربوا — عمليا — على قهر الشيطان ، وسحق مكايده وهواجسه .. ومن أبرك صفات الحجاج ، التواضع ، وهضم النفس ، فالمقام مقام انكسار لله ، وخضوع لجلاله وعظمته، وليس مقام تعاظم وتطاول، فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة الحاج فقال : « الشعث التفل » ومعناه المتواضع ، الذي يترك الزينة ويبتعد عن الترف، غير مائل الى أسباب التفاخر والتكاثر والتجبر على خلق الله ، والناس في ملابس الاحرام سواسية ، لا ارتفاع لرأس ، ولا تمييز لوجه على وجه .. وكان الانبياء والصالحون ، اذا وفدوا الى بيت اللهحجاجا ، يؤدون هذا النسك العظيم ، في تواضع وجنوح عن مظاهر الحياة !

فقد روى عن انس بن مالك رضى الله عنه قال : حج النبى صلى الله عليه وسلم على رحل رث ، وقطيفة خلق ، تساوى اربعة دراهم ، او لا تساوي ! ثم قال : « اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة» رواه الترمذى وابن ماجه . وروى الحاكم باسناد على شرط مسلم ، ولفظه : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى على وادى الأزرق ، فقال : « ما هذا » ؟ قالوا : وادى الأزرق .
فقال : « كأنى انظر الىموسى عليه السلام مهبطا له جؤار الى الله بالتكبير » ثم أتى على ثنية فقال : « كأني انظر الى موسى عليه السلام مهبطا له جؤار الى الله على ناقة حمراء جعدة خطامها ليف ، وهو يلبى ، وعليه جبة صوف » ! ..
وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد مر بالروحاء سبعون نبيا ، فيهم نبي الله موسى عليه السلام ، حفاة ، عليهم العباء ، يؤمون بيت الله العتيق » رواه ابو يعلى والطبرى .

فياليت الحجاج يعقلون معنى هذه الأحاديث ، فيكونون في حجهم متراحمين لا متزاحمين ، ومتعاونين لا متعادين ، ومتسامحين لا متخاصمين ، فليس اضيع لأجرهم عند الله من اللجاجة والجدل ، وبسط اليد واللسان بالسوء !! وقد وضع الله لحجاج بيته ، دستورا يهدى الى الرشد ، ويعصم من الزلل

يقول لهم مولاهم : (**الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب**) البقرة : ١٩٧ . والآية تقول : ان الحج يقع في اشهر معلومة لكم من عهد ابراهيم عليه السلام ، وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة ، فمن فرض الحج على نفسه في هذه الأشهر ، ودخل فيه ، فليراع آدابه ، فيتنزه المحرم عن مباشرة النساء ، وعن المعاصي ، من السباب وغيره ، وعن الجدل ، والمراء مع رفقته في الحج ، وعن كل ما يجر الى الشحناء والخصام ، حتى يخرج المحرم ، مهذب النفس ، زاده من رحلته الخير والتقوى ، وتلك شيمة المؤمنين العقلاء ..

ومن شعائر الحج ، رفع الصوت بالتلبية « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .. ما أجمله من هتاف ! وما أروعه من شعار ! انه الشعار الذى يصحب الحاج في جميع مراحله ، اذا هبط واديا ، أو ارتقى مكانا عاليا ، ويتجاوب الكون كله مرددا معه هذا النشيد العلوى ، فقد روى سهل بن سعد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من ملب يلبى ، الا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر او مدر ، حتى تنقطع الأرض من ههنا وههنا عن يمينه وشماله » رواه الترمذى وابن ماجه .

والتلبية في حقيقتها ، هى النزوع بالنفس عن عالم الظلم والطغيان ، الى عالم العدل والاحسان ، وترجمتها ... يا رب : أنا الواقف ببابك ، المستجيب لندائك ، المطيع لأمرك ، المقيم على عهدك ، فأنت الواحد الأحد ، رب النعمة السابغة ، والعزة السامقة ، والقوة القاهرة ، والسلطان النافذ في الأرض والسماء ، سبحانك لا اله الا انت .. وبهذه التلبية القدسية ، يتحول الناس من عبيد لشهواتهم ودنياهم ، الى سادة يملكون انفسهم ، فيملكون كل شيء ..

وعلى اجنحة هذا الهتاف الربانى ، يرتفعون الى آفاق عالية .. الى سماء الترفع عن المادة وظلمتها ، والنفوس وطغيانها ، واستغلال القوى للضعيف ، والغنى للفقير ، والاستكبار في الارض بغير الحق .. انهم بهذا أصحاب دولة يوم القيامة يشار اليهم يومئذ فيقال . (**اولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون**) المؤمنون : ١٠و١١ عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما اهل مهل قط، ولا كبر مكبر قط ، الا بشره » قيل يا رسول الله : بالجنة ؟ قال : « نعم » رواه الطبرانى في الاوسط .

ومن مناسك الحج ، السخاء والجود ، وسيلان دم الهدى والأضاحى ، وهو ما عبر عنه الرسول الكريم بـ « الثج » وهو اراقة الدماء عند الذبح ، واهداء الابل أو البقر الى البيت المعظم ، من شعائر الله ، لتذبح ، فيأكل من لحمها السائل والقانع ، والمعتر الذى يتعرض لك لتعطيه ولا يسأل يقول تعالى : (**والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا**

وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون) الحج : ٣٦ .والذبح في أيام الحج توسعة على الفقراء ، وتخليد لذكرى فداء اسماعيل عليه السلام **(وفديناه بذبح عظيم)** ابراهيم /١٠٧ . ومن اسماعيل الذى انجاه الله وفداه ، جاء النسل الكريم ، الذي انبثق عنه سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، ففى نجاة اسماعيل ، نجاة خاتم النبيين ، بل نجاة الانسانية كلها ، ومن شكر هذه النعمة الكبرى، اراقة الدماء لاطعام الفقراء والمساكين ، وقد أمر الله الحجاج ان يعظموا شعائر الله ، وهى اوامر دينه في الحج ، ومنها ذبح الذبائح ، وذلك باستسمانها وغلاء اثمانها ، فذلك من علامات تقوى الله وتعظيم أمره **(ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب . لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق)** الحج ٣٢و٣٣فهذه الأنعام التى تتخذ هديا ينحرُ في الحج ، يجوز لصاحبها الانتفاع بها ، بأن يركبها ، أو يشرب البانها ، حتى تبلغ محلها — اى مكان حلها — وهو البيت العتيق، ثم تنحر هناك ، ليطعم منها البائس الفقير وقد كان المسلمون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يغالون في الهدى ، يختارونه سمينا غالي الثمن ومن هنا يجيء التعبير القرآنى ، دالا على هذا المعنى ، فيقول الحق سبحانه : **(والبدن جعلناها لكم من شعائر الله..)**وسميت بدنا ، لعظم ابدانها وضخامتها ، لأنهم كانوا يسمنونها ثم يهدونها الى البيت .. وقد أهدى لعمر رضىَ الله عنه ناقة غالية الثمن ، فأراد أن يبيعها ويشترى بثمنها نوقا أخرى او بقرا للذبح ، فأنها تعطى لحما اكثر ، ولكن الرسول الكريم ، أمره ان يضحى بالنجيب ذاتها ، لنفاستها ، وعظم قيمتها ، ولا يستبدل بها نوقا كثيرة ، فالعبرة بالكيف ، لا بالكم ، فان ذلك من تقوى القلوب . . روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : « اهدى عمر نجيبا فأعطى بها ثلاثمائة دينار ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ، انى اهديت الى نجيب فأعطيت بها ثلاثمائة دينار ، أفأبيعها واشترى بثمنها بدنا ؟ قال : « لا انحرها اياها » ! واراقة الدم بذبح الهدى او الأضحية من اعظم القربات التى يمحو اللهبهاالخطايا ، ويرفع بها الدرجات ، فقد روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من محرم يضحى لله يومه ، يلبى حتى تغيب الشمس ، الا غابت بذنوبه ، فعاد كما ولدته أمه » رواه أحمد وابن ماجه . وقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى : **(ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)** آل عمران /٩٧ . فقيل له ما السبيل ؟ فقال « الزاد والراحلة » .

ومن هذا السؤال والجواب ، نستطيع أن نقرر عدة أمور ، نجملها فيما يلي :

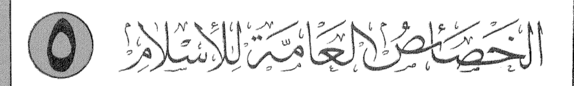
اولا : الحج واجب على المستطيع في العمر مرة ، لحديث رواه الدارقطنى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قيل يا رسول الله : الحج كل عام ؟ قال : « لا ... بل حجة » قيل : فما السبيل ؟ قال : « الزاد والراحله » وفي روايه : « ان تجد ظهر بعير » . .

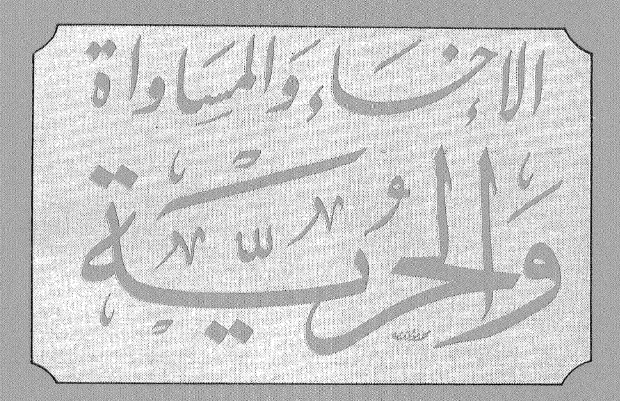
ثانيا : المستطيع ، هو الصحيح البدن ، الخالي من الموانع الشرعية ، المالك للزادوالراحله ، والمراد بالزاد ، نفقات السفر ، وبالراحله ، وسائل المواصلات ، بريه ، أو بحرية ، او جوية .

ثالثا : من لم يجد راحلة ، وكان قادرا على المشي ، مطيقا له ، ومعه الزاد ، او قدر على كسب الزاد في طريقه بحرفة أو عمل أو تجارة — لا بسؤال الناس — وجب عليه الحج ، فقد قال رجل للضحاك : اكلف الله الناس أن يمشوا الى البيت ؟ فقال : لو أن لأحدهم ميراثا بمكة ، أكان تاركه ؟! بل ينطلق اليه ولو حبوا .. كذلك يجب الحج على من يطيق المشي اليه ، أما قرأت قول الله عز وجل : **(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا)** الحج/٢٧ . اى مشاة على أرجلهم، جمع راجل— والتكسب بالعمل والصناعة في موسم الحج عمل مشروع ، وهو ابتغاء من فضل الله ، فقد روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كانت عكاظ ، ومجنة ، وذو المجاز اسواقا في الجاهلية ، فتأثموا أن يتجروا في المواسم ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم : فنزلت الآية : **(ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم)** البقرة /١٩٨ . اى ليس عليكم حرج أن تبتغوا رزقا من ربكم بالتجارة في مواسم الحج ، وسئل عمر رضى الله عنه : هل كنتم تتجرون في الحج ؟ فقال : « وهل كانت معايشهم الا في الحج » ! هذا .. ولا يخفى أن الاستطاعة أمر نسبى ، يختلف باختلاف الناس ومستوى معيشتهم ، وما يتطلبه الحج من الصحة ، وقوة الاحتمال واطمئنان الشخص على نفسه ، وعلى من يتركهم من أسرته التى يعولها ، ويشترط فيوجوب الحج على المراة ، ان تأمن الفتنة على نفسها ، وذلك بوجود زوج او محرم معها .. يقول صاحب المنار في تفسيره : « وأما استطاعة السبيل ، فهي عبارة عن القدرة على الوصول الى الحج ، وهى تختلف باختلاف الناس في أنفسهم ، وفي بعدهم عن البيت وقربهم منه ، وكل مكلف اعلم بنفسه » ..

فعلى كل مستطيع ، أن يبادر الى اداء هذا الركن العظيم ، قبل ان تفلت منه الفرصة ، فان الانسان لا يدري ما يعرض له ! ففى حديث رواه أبو داود : « من اراد الحج فليتعجل » وزاد احمد فى رواية له : « فانه قد يمرض الصحيح ، وتضل الراحلة ، وتعرض الحاجة » !.

فمن اهمل أو تكاسل ، فهو المحروم ! يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذى واحمد : « من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج ، فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا ، وذلك لقول الله تعالى في كتابه : **(ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين)** آل عمران /٩٧ .. وروى سعيد بن منصور في سننه عن الحسن البصرى قال : قال عمر بن الخطاب : « لقد هممت ان ابعث رجالا الى هذه الأمصار ، فينظروا كل من كان له جدة — اى له مال وهو قادر على الحج — فلم يحج ، فيضربوا عليه الجزية ، ما هم بمسلمين ، ما هم بمسلمين » !! والله الهادى الى سواء السبيل ، وهو ولى التوفيق .





للدكتور يوسف القرضاوى

هذه النزعة الانسانية الأصيلة فى الاسلام هى اساس هام لمبدأ الاخاء البشرى الذى نادى به الاسلام . وهى اساس هام كذلك لمبدأ المساواة العام الذى دعا اليه الاسلام .

وهى اساس هام كذلك لمبدأ الحرية الذى قرره الاسلام . اكد الاسلام الدعوة الى هذه المبادىء الانسانية الثلاثة ووضع الصور العملية لتطبيقها وربطها بعقائده وشعائره وآدابه ربطا محكما ، بحيث لا تظل مجرد أمنية شاعرية تهفو اليها بعض النفوس ، او فكرة مثالية تتخيلها بعض الرؤوس ، او حبر على ورق سطرته بعض الأقلام .

١ — مبدأ الاخاء الانسانى :

اما مبدأ الاخاء البشرى العام ، فقد قرره الاسلام بنـاء على ان البشر

جميعا ابناء رجل واحد وامرأة واحدة ، ضمتهم هذه البنوة الواحدة المشتركة ، والرحم الواصلة ، ولهذا قال تعالى فى اول سورة النساء : **(يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا) النساء/١ .**

وما احق كلمة « الارحام » المذكورة فى هذه الآية أن تفسر بحيث تشمل بعمومها الرحم الانسانية العامة ، لتتسق مع بداية الخطاب بـ « يأيها الناس » ومع ذكر النفس الواحدة التى خلق الله منها جميع الناس رجالا ونساء ، وهى نفس آدم عليه السلام وعطفها على لفظ الجلالة « الله » فى هذا المقام يدل على ان لهذه الارحام شأنا اى شأن .

وقد كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقرر هذا الاخاء ويؤكده كل يوم ابلغ تأكيد واوثقه .

فقد روى الامام احمد فى مسنده عن زيد بن ارقم — رضي الله عنه — ان رسول الله صلى الله عليه وسلم — كان يقول دبر كل صلاة :

« اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه ، أنا شهيد انك الله وحدك لا شريك لك » .

« اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه، انا شهيد أن محمدا عبدك ورسولك » .

« اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه ، انا شهيد أن العباد كلهم اخوة » ورواه ابو داود .

بهذا الدعاء كان يناجى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ربه بعد كل صلاة وانه ليدلنا اوضح دلالة على قيمة الاخاء البشرى فى رسالة الاسلام .

١ — فهو — اولا — يعلن الاخوة بين عباد الله كلهم لا بين العرب وحدهم ولا بين المسلمين وحدهم ، مشيرا الى الجامع المشترك بينهم ، الموحد بين اجناسهم والوانهم وطبقاتهم وهو العبودية لله تعالى .

٢ — وهو — صلى الله عليه وسلم — يقرر ذلك فى صيغة دعاء يناجي ربه ويشهد بنفسه امامه سبحانه على حقيقة هذا المبدأ وصدقه ، اى أن تقرير هذا المبدأ ليس مجرد كلام للاستهلاك المحلى او للتضليل العالمى ، وانما هو حقيقة دينية لا ريب فيها .

٣ — انه قرن هذا المبدأ بالمبداين الأساسيين فى عقيدة الاسلام والدين لا يدخل احد هذا الدين الا اذا آمن وشهد بهما ، وهما : توحيد الله تعالى ورسالة عبده محمد ، وهذا الاقتران دليل على اهمية هذا المبدأ « الاخاء » لدى رسول الاسلام .

كما ان لهذا الاقتران دلالة أخرى فى تأكيد مبدأ الاخاء ، فان توحيد الله تعالى معناه اسقاط كافة المتألهين فى الأرض المتعالين على غيرهم من عباد الله وهذا اول ما يعمق اساس الاخوة بين الخلق .. كما ان الشهادة بأن محمدا عبد الله ورسوله ليس الها ، ولا نصف اله ، ولا ثلث اله ولا ابن اله ، ولا من سلالة الآلهة .. يؤكد مضمون الاخوة العامة ويثبتها .

٤ — ثم هو لا يكتفى باعلانه مرة فى العمر او مرة كل عام ، او حتى كل شهر أو كل اسبوع بل يدل هذا الحديث أنه كان يكرر ذلك فى كل يوم ، وعقب كل صلاة ، اى خمس مرات فى اليوم والليلة وهذا دليل على مزيد العناية

والاهتمام .

٥ ــ انه جعل ذلك من الاذكار والادعية التى يتعبد بها ، ويتقرب الى الله بتكرارها ، وربطه بالصلاة وختامها ، وهذا يضفى عليهقدســـــية ومنزلة فى قلوب المؤمنين لا تعدلها منزلة مبدا يقرر بعيدا عن الله وعن هداه .

ويزداد هذا الاخاء توثقا وتأكدا اذا اضيف اليه عنصر الايمان ، فتجتمع الاخوة الدينية الى الاخوة الانسانية ، وتزيدها قوة على قوة ، واذا كان باب الايمان مفتوحا لكل الناس بلا قيد ولا شرط ولا تحفظ على جنس او لون او اقليم او طبقة ، فان الاخاء الدينى المتفرع عن الايمان والعقيدة المشتركة لا يضعف الاخاء العام ، بل يشد عضده ويقويه ويجعل له فى واقع الناس كتلة حيـــة ملموسة تؤمن به وتطبقه ، وتدعو اليه ، وتدافع عنه ، فلا تنافى اذن بين الاخاء البشرى العام وبين الاخاء الدينى الذى نلمسه فى مثل قوله تعالى : (انما المؤمنون اخوة) الحجرات/١٠ . وقوله صلى الله عليه وسلم « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » رواه البخارى .

٢ ــ مبدأ المساواة العام :

واما مبدأ المساواة العام الذى قرره الاسلام ونادى به ، فأساسه : ان الاسلام يحترم الانسان من حيث هو انسان لا من اى حيثية اخرى ، الانسان من اى سلالة كان ومن اى لون كان ، من غير تفرقة بين عنصر وعنصر ، وبين قوم وقوم وبين لون ولون مسقطا كل انواع التفرقة القبلية والعنصرية والقومية واللونية . يقول القرآن : **(يأيها النـــاس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شـــعوبا وقبائل لتعـــــارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليـــم خبير)** الحجرات/١٣ .

وقد خطب النبى صلى الله عليه وسلم الناس بمعنى هذه الآية فى حجة الوداع فى اوسط ايام التشريق فقال : « يأيها الناس ان ربكم واحد وان اباكم واحد ، الا لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على احمر الا بالتقوى ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » رواه البيهقى وفى الحديث الآخر : « الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب » رواه ابو داود .

الانسان من اى وطن كان واى بلد كان ، بلا فرق بين وطن ووطن وبين اقليم واقليم فالبلاد كلها ارض الله ، والناس كلهم عباد الله وبهذا تسقط كل الوان العصبية الاقليمية والوطنية التى تعلى اهل بلد على غيره .

الانسان من اى طبقة كان . دون تفريق بين طبقة وطبقة وبين فئة واخرى فكل الناس سواسيه وكل المؤمنين اخوة ولا اعتبار للغنى او للفقير فى تقديم الناس أو تأخيرهم .. بل الواجب انزالهم منازلهم واعطاء كل ذى حق حقـــه دون نظر الى تلك الاعتبارات .

وبهذا تسقط الاعتبارات الطبقية التى اقام عليها بعض الناس فلسفتهم الحاقدة السوداء التى تبنى طبقة واحدة بهدم كل الطبقات .

بل الانسان من أى دين كان فان اختلاف الأديان لا يسقط عن المخالفين انسانيتهم ولا يخلعهم حتى أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قام لجنازة ، فقيل له : انها جنازة يهودى فقال : « أليست نفسا ؟؟ » رواه البخارى .

قد يختلف الناس فى أجناسهم وعناصرهم فيكون منهم الآرى والسامى والحامى والعربى والعجمى . وقد يختلفون فى أنسابهم وأحسابهم فيكون منهم من ينتمى الى أسرة عريقة فى المجد ومن ينتمى الى أسرة صغيرة مغمورة فى الناس .

وقد يتفاوت الناس فى ثرواتهم فيكون منهم الغنى ومنهم الفقير ومنهم المتوسط الحال وقد يتفاوتون فى أعمالهم ومناصبهم ، فيكون منهم الحاكم والمحكوم ويكون منهم المهندس الكبير والعامل الصغير ، ويكون منهم استاذ الجامعة والحارس ببابها .

ولكن هذا الاختلاف أو التفاوت لا يجعل لواحد منهم قيمة انسانية أكبر من قيمة الآخر ، بسبب جنسه أو لونه أو حسبه أو ثروته أو عمله أو طبقته أو اى اعتبار آخر .

ان القيمة الانسانية واحدة للجميع . فالعربى انسان والعجمى انسان ، والأبيض انسان والأسود انسان والحاكم انسان والمحكوم انسان والغنى انسان والفقير انسان ، ورب العمل انسان والعامل انسان .. والرجل انسان ، والمرأة انسان .. والحر انسان والعبد انسان وما دام الكل انسانا ، فهم اذن سواسية كأسنان المشط الواحد .

ومن هنا اعتبر الاسلام الاعتداء على نفس اي انسان اعتداء على الانسانية كلها ، كما جعل انقاذ أى نفس انقاذا للجميع ، هذا ما كرره القرآن بوضوح : **(انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الأرض فانما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا)** المائدة / ٣٢ .

شعائر الاسلام تثبت معنى المساواة :

ولم يكتف الاسلام بتقرير مبدأ المساواة نظريا ، وتثبيته فكريا بل أكده عمليا بجملة أحكام وتعاليم نقلته من فكرة مجردة الى واقع ملموس . من ذلك العبادات الشعائرية التى فرضها الاسلام وجعلها الأركان العملية التى يقوم عليها بناؤه العظيم من الصلاة والزكاة والصيام والحج .

ففى مساجد الاسلام ــ حيث تقام صلاة الجمعة ــ تأخذ المساواة صورتها العملية وتزول كل الفوارق التى تميز بين الناس ، فمن ذهب الى المسجد اولا اخذ مكانه فى مقدمة الصفوف وان كان اقل الناس مالا ، واضعفهم جاها ، ومن تأخر حضوره تأخر مكانه مهما يكن مركزه ، ولو نظرت الى صف واحد من صفوف المصلين لراعك أن تجد فيه الغنى بجانب الفقير والعالم بجانب الأمي ، والشريف بجانب الوضيع والحاكم بجوار الخادم .. لا فرق بين واحد وآخر فكلهم سواسية أمام الله ، فى قيامهم وقعودهم وركوعهم وسجودهم .. قبلتهم واحدة وكتابهم واحد وربهم واحد ، وحركاتهم واحدة ، خلف امام واحد .

وفى الأرض المقدسة — حيث تؤدى مناسك الحج والعمرة — تتحقق المساواة بصورة أشد ظهوراً ، وتتجسد تجسداً تراه العين ، وتلمسه اليد ، فقد يظل الناس فى صف الصلاة متمايزين بما يلبسون من أنواع الثياب التى تختلفباختلاف الأقوام أو البلدان أو الطبقات أما فى الحج والعمرة فان شعيرة الاحرام تفرض على الحجاج والمعتمرين أن يتجردوا من ملابسهم العادية ويلبسوا ثيابا بيضاء ساذجة لم يدخلها التكلف والتصنع والتفصيل ، أشبه ما تكون بأكفان الموتى يستوى فيها القادر والعاجز ، والملك والسوقة ، ثم ينطلق الجميع ملبين بهتاف واحد « لبيك اللهم لبيك .. » مبتهلين الى رب واحد ، طائفين ببيت الحرام ، معظمين لشعائره لا فرق بين سيد ومسود ، ولا بين آمر ومأمور .

المساواة امام قانون الاسلام :

ومن المساواة العملية التى قررها الاسلام قولا ، وطبقها فعلا : المساواة أمام قانون الشرع وأحكام الاسلام .

فالحلال حلال للجميع ، والحرام حرام على الجميع ، والفرائض ملزمة للجميع ، والعقوبات مفروضة على الجميع ..

وحاول الصحابة أن يشفعوا أسامة بن زيد — حب رسول الله وابن حبه — فى امرأة من قريش ومن بنى مخزوم ، سرقت فاستحقت أن يقام عليها حد السرقة : قطع اليد فكلمه فيها أسامة ، فغضب صلى الله عليه وسلم غضبته التاريخية المعروفة حين اختطب : فاثنى على الله بما هو أهله ثم قال : « أما بعد ، فانما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه . واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وانى والذى نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » الحديث رواه مسلم .

وفى عهود الخلفاء الراشدين رأينا كثيراً من الصور والأمثلة لتطبيق مبدأ المساواة بين جميع الناس ، دون تفريق أو تمييز . وحسبنا أن نشير هنا الى قصة جبلة بن الأيهم — الأمير الغسانى — مع الاعرابى الذى شكا الى عمر أمير المؤمنين كيف لطمه جبلة بغير حق ، فلم يسع عمر الا ان يحضر جبلة ويطلب اليه أن يمكن الاعرابى ليقتص منه ، لطمة بلطمة ، الا ان يعفو عنه ويصفح ، وعز على الأمير الغسانى أن يفعل ذلك ، وقال لعمر بصراحة : كيف يقتص مني وأنا ملك وهو سوقة .. ؟

فقال عمر : ان الاسلام قد سوى بينكما .

ولم يسع الأمير المسكين هذا المعنى الكبير وخرج من المدينة هاربا مرتدا عن الاسلام الذى يفرض المساواة بين الملك والسوقة أمام شرع الله . وغلبت عليه شقوته فكان من الخاسرين .

ولم يبال عمر ولا الصحابة معه بهذه النتيجة لأن ارتداد رجل عن الاسلام أهون بكثير من التهاون فى تطبيق مبدأ عظيم من مبادىء الاسلام ، كالمساواة .. وخسارة فرد لا تقاس بخسارة مبدأ .

ومما نشير اليه هنا كذلك : قصة عمر مع واليه على مصر : عمرو بن

العاص ، حين ضرب ابنه ابن القبطي متطاولا عليه بأنه « ابن الأكرمين» وكيف سافر القبطى من مصر الى المدينة شاكيا الوالى ، وطالبا النصفة والعدل ، فما كان من عمر الا ان استدعى عمرا وولده وأمر ابن القبطي أن يضرب ابن عمرو كما ضربه ثم قال لعمرو كلمته الشهيرة : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحرارا ... ؟

ومما يلفت الانتباه ويجدر بالتسجيل هنا ، موقف القبطى وسفره من مصر الى المدينة على بعد المسافة ، ومشقة الطريق ، وضعف الوسائل ، وقد كان هذا القبطى والوف أمثاله يضربون ويعذبون ويضرب أبناؤهم واهلوهم فى عهد الرومان فما يرفعون بالشكاية رأسا ولا يحركون ساكنا .

ترى ما الذى طرأ عليهم وما الذى غير من نظرتهم وجعلهم يحسون بالظلم ويشكون منه ويركبون الصعب فى سبيل الانتصاف لأنفسهم .. ؟ انه الاسلام بلا ريب .. الاسلام اشعرهم بكرامتهم الانسانية وافهمهم ان لهم حقوقا يجب أن ترعى ، مثلما ان عليهم واجبات ينبغى أن تطلب ، وعرفوا أن هذه المبادىء الانسانية الجديدة ليست حبرا على ورق ولا مجرد لافتات للدعاية وانما هى دين يجب أن يحترم وينفذ .

فلا عجب أن قطع الرجل الفيافى ، ليطالب بحقه ويسترد كرامته التى صانها له الاسلام . وفى عهد أمير المؤمنين علي بن أبى طالب رضي الله عنه سقطت درع له فالتقطها نصرانى ، فعرفها علي معه ، فقال : هذه درعى ولكن الرجل انكر وادعى انها ملكه .. فلم يملك أمير المؤمنين الا ان يقول للنصرانى : بينى وبينك القضاء ، وذهبا الى القاضي شريح ، وبعد سماع الخصمين طلب القاضي من الخليفة بينة على دعواه اى شهود ، فلم يكن عنده .. فما كان من القاضي الا أن حكم للرجل النصرانى بالدرع بحكم وضع يده عليها .

ودهش النصرانى لهذا الحكم الذى لم يكن يتوقعه فقال : اشهد ان هذه احكام أنبياء ، أمير المؤمنين يذهب معى الى قاضيه فيحكم لى عليه ، وهو يعلم انه لا يكذب ، أما أنى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .. الدرع درعك يا أمير المؤمنين سقطت منك فأخذتها : قال أما قد أسلمت فهى لك ! اى نظام فى الدنيا يعامل رئيس الدولة كما يعامل واحدا من الرعية ، غير الاسلام .. ؟

كيف كانت المساواة فى أمم الحضارة عند ظهور الاسلام :

ولا يقدر قيمة المساواة فى الاسلام حق قدرها ، الا من اطلع على تاريخ الأمم عند ظهور الاسلام وكيف كان التمييز والتفاوت بين الناس ، يأخذ اشكالا حادة تهون معها كرامة الانسان ونكتفى هنا ببلدين شهيرين فى التاريخ ، هما فارس والهند .

ففى بلاد الفرس كانت الاكاسرة ملوك فارس يدعون انه يجرى فى عروقهم دم الهى وكان الفرس ينظرون اليهم كآلهة ويعتقدون أن فى طبيعتهم شيئا علويا مقدسا ، فكانوا يكفرون لهم وينشدون الأناشيد بألوهيتهم ويرونهم فوق القانون وفوق الانتقاد وفوق البشر ، لا يجرى اسمهم على لسانهم

ولا يجلس احد فى مجلسهم ويعتقدون ان لهم حقا على كل انســـــان وليس لانسان حق عليهم .

وكذلك كان اعتقادهم فى البيوتات الروحية والاشراف من قومهم فيرونهم فوق العامة فى طينتهم وفوق مستوى الناس فى عقولهم ونفوسهم ويعطونهم سلطة لا حد لها ويخضعون لهم خضوعا كاملا .

يقول البروفسور ارتهر سين مؤلف تاريخ (ايران فى عهد الساسانيين) : كان المجتمع مؤسسا على اعتبار النسب والحرف وكان بين طبقات المجتمــــع هوة واسعة لا يقوم عليها جسر ولا تصل بينها صلة ، وكانت الحكومة تحظر على العامة ان يشترى احد منهم عقارا لأمير او كبير وكان من قواعد السياسة الساسانية ان يقنع كل واحد بمركزه الذى منحه نسبة ، ولا يستشرف لما فوقه ولم يكن لأحد ان يتخذ حرفة غير الحرفة التى خلقه الله لها . وكان ملوك ايران لا يولون وضيعا وظيفة من وظائفهم وكان العامة كذلك طبقات متميزة بعضها عن بعض تميزا واضحا وكان لكل واحد مركز محدد فى المجتمع .

وكان فى هذا التفاوت بين طبقات الأمة امتهان للانسانية ، يظهر ذلك جليا فى مجالس الأمراء والأشراف ، حيث يقوم الناس على رؤوس الأمراء كأنهم جماد لا حراك بهم ويجلسون مزجر الكلب .

أما فى الهند فيذكر العلامة السيد ابو الحسن الندوى : انه لم يعرف فى تاريخ أمة من الأمم نظام طبقي اشد قسوة واعظم فصلا بين طبقة وطبقة واشد استهانة بشرف الانسان من النظام الذى اعترفت به الهند دينيا ومدنيا وخضعت له آلافا من السنين ولا تزال . فقبل ميلاد المســـيح بثلاثة قرون ازدهرت فى الهند الحضارة البرهمية ووضع فيها مرسوم جديد للمجتمع الهندى والف فيه قانون مدنى وسياسي اتفقت عليه البلاد واصبح قانونا رسميا ومرجعا دينيـــا فى حياة البلاد ومدنيتها وهو المعروف الآن بـ « منوشاستر » يقسم هذا القانون اهل البلاد الى اربع طبقات متميزة وهى :

١ ــ البراهمة : طبقة الكهنة ورجال الدين .

٢ ــ شترى : رجال الحرب .

٣ ــ ويش : رجال الزراعة والتجارة .

٤ ــ شودر : رجال الخدمة .

ويقول « منو » مؤلف هذا القانون :

ان القادر المطلق قد خلق لمصلحة العالم البراهمة من فمه ، وشترى من سواعده وويش من افخاذه والشودر من ارجله .. ووزع لهم فرائض وواجبات لصلاح العالم . فعلى البراهمة تعليم « ويد » (الكتاب المقدس) أو تقــديم النذور للآلهة وتعاطى الصدقات وعلى (الشترى) حراسة الناس والتصدق وتقديم النذور ودراسة « ويد » والعزوف عن الشهوات .. وعلى « ويش » رعي السائمة والقيام بخدمتها وتلاوة « ويد » والتجارة والزراعة وليس لشودر الا خدمة هذه الطبقات الثلاث ..

وقد منح هذا القانون طبقة البراهمة امتيازات وحقوقا الحقتهم بالآلهة ، فقد قال : ان البراهمة هم صفوة الله وهم ملوك الخلق ، وان ما فى العـــالم

هو ملك لهم ، فانهم افضل الخلائق وسادة الارض ولهم أن يأخذوا من مال عبيدهم شودر ــ من غير جريرة ــ ما شاءوا لأن العبد لا يملك شيئا وكل ما له لسيده .

وان البرهمي الذى يحفظ رك ويد « الكتاب المقدس » هو رجل مغفور له ولو اباد العوالم الثلاثة بذنوبه واعماله ، ولا يجوز للملك حتى فى اشد ساعات الاضطراب والفاقة أن يجبى من البراهمة جباية او يأخذ منهم اتاوة ، ولا يصح لبرهمي فى بلاده أن يموت جوعا ، وان استحق برهمي القتل لم يجز للحاكم الا أن يحلق رأسه ، اما غيره فيقتل .

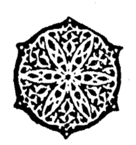
أما الشترى فان كانوا فوق الطبقتين « ويش وشودر » ولكنهم دون البراهمة بكثير فيقول : « مينو » أن البرهمي الذى هو فى العاشر من عمره يفوق الشترى الذى ناهز مائة كما يفوق الوالد ولده .

أما « شودر المنبوذون » فكانوا فى المجتمع الهندى ــ بنص هذا القانون المدنى الدينى ــ احط من البهائم واذل من الكلاب ! فيصرح القانون بأن « من سعادة شودر أن يقوموا بخدمة البراهمة وليس لهم أجر وثواب بغير ذلك » .

وليس لهم أن يقتنوا مالا او يدخروا كنزا ، فان ذلك يؤذى البراهمة . واذا مد أحد من المنبوذين الى برهمي يدا أو عصا ليبطش به قطعت يده ، واذا رفسه فى غضب فدعت رجله . واذا هم احد من المنبوذين أن يجالس برهميا فعلى الملك أن يكوى استه وينفيه من البلاد !! واما اذا مسه بيد أو سبه فيقتلع لسانه ، واذا ادعى انه يعلمه سقى زيتا فائرا ، وكفارة الكلب والقطة والضفدعة والوزغ والغراب والبومة ورجل من الطبقة المنبوذة سواء .

وقد نزلت النساء فى هذا المجتمع منزلة الاماء ، وكان الرجل قد يخسر امرأته فى القمار ، وكان فى بعض الأحيان للمراة عدة أزواج ، فاذا مات زوجها صارت كالمؤودة لا تزوج ، وتكون هدف الاهانات والتجريح ، وكانت امة بيت زوجها المتوفى وخادم الاحماء ، وقد تحرق نفسها على أثر وفاة زوجها تفاديا من عذاب الحياة وشقاء الدنيا .

فليوازن المنصف بين هذا كله وبين ما جاء به الاسلام ، ليعرف الفرق بين الظلمات والنور .

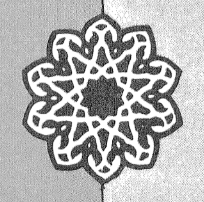


محور الأخلاق

يتبين للدارس المنصف ان المذاهب الاخلاقية الوضعية لم يخل كل منها من ضيق وقصور ، فاذا ما انتقل الى الأخلاق الاسلامية وجدها كالينبوع الثر الذي لا ينضب ، المتدفق الذي لا يغيض ، النقي الذي لا يترنق ، المسترسل الذى لا يتوقف المبرا من العيوب والنقائص على تعاقب الازمان والأجيال .

فما هو هذا الينبوع ؟ انه الاسلام الذي لا يهدى الى الأخلاق الفضلى والمثل العليا سواه .

واذا كان الاسلام هو الينبوع ، فما المحور المركز الثابت الذي تستدير الفضائل كلها حوله فتجذبه اليه كما تدور الارض حول امها الشمس ؟

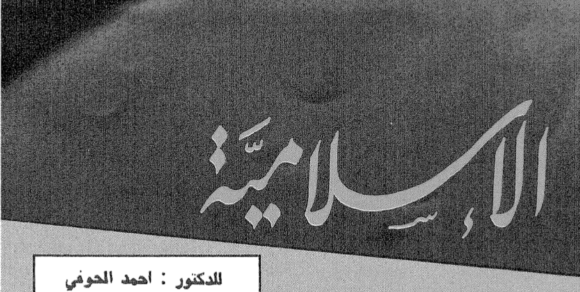


انه التقوى . فماذا تعني التقوى ؟

١ ــ للتقوى دلالة دينية تشمل طاعة الله تعالى ، والرغبة في ثوابه وتشمل خشيته سبحانه والخوف من عقابه ، وهي بهذه الدلالة الشاملة المحور الذي تدور حوله الأخلاق الاسلامية .

هي الاساس الوطيد الذي لا يتبدل ولا يميد ولا يخضع للأهواء والمقاييس الفردية او المقاييس العامة التي تتحول وتتغير .

هي المركز الذي تلتف الفضائل من حوله ، ويرنو اليه كل فرد برغبة وبرهبة ، ويدور في محيطه سواء



للدكتور : احمد الحوفي

احتق له نفعا عاجلا ام لم يحقق ، بل انه يدور من حوله منجذبا اليه وان كان في دورانه ضرر محقق يمسه في نفسه او في ماله او في رغبة من رغباتــه .

وما من شك في ان الذي يتقى ربه يحبــه ، ويطيعه ، ويعمل ما يستحق عليه ثوابه ، ويكف عما ينزل به عقابه فيحيا في طهارة نفس وصلاح عمل ، وبراءة تدبير ، وثراء من الخير والحق وينفر من كل شر ويتحاشى كل رذيلة ونقيصة .

ولن يكون التقي — وهو يعلم ان الاسلام ينبوع الاخلاق وان التقوى محورها — الا كريما شجاعا عادلا امينا عفيفا صادقا وفيا رحيما غيورا متحليا بكل فضيلة ، مبرا من الجبن والبخل والفجور والغدر والكذب ومن كل رذيلة .

٢ — ولقد ترددت كلمة التقوى ومادتها في القرآن الكريم بهذا المعنى تسعا وثلاثين ومئتي مرة ، منها امر صريح بالتقوى ثلاثا وثمانين ، ومنها كلمة تقوى تسع عشرة ، وكلمة تقي ثلاث مرات ، وكلمة الأتقى مرتين .

قال تعالى (**فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى**) النجم / ٣٢ ، والمعنى لا تنسبوا انفسكم الى طهارة العمل ، وزيادة الخير وكثرة الطاعات والبعد عن المعاصي ، فان الله يعلم الزكي منكم والتقي .

وقال سبحانه : « **وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى**) البقرة / ١٨٩

فقد كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب ، فاذا كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته ، منه يدخل ويخرج ، او اتخذ سلما يصعد فيه ، وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء ، فبين لهم سبحانه وتعالى ان البر ليس بتحرجهم من دخول الباب ، ولكن البر هو اتقاؤهم ما حرم الله ، واجتنابهم ما نهى عنه .

وقال تعالى (**يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى**) المائدة / ٨ ، اي لا يحملنكم بغضكم للمشركين على ان تتركوا العدل ، فتعتدوا عليهم بان تنتصروا منهم ، وتشتفوا ما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة او قذف او قتل اولاد او نساء او نقض عهد ، وامرهم سبحانه بالعدل لانه اقرب الى التقوى . والآيات في هذا المعنى كثيرة منها قوله تعالى: (**للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري**

من تحتها الأنهار) آل عمران / ١٥ وقوله تعالى : **(ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض)** الأعراف / ٩٦ وقوله سبحانه : **(وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا)** الزمر / ٧٢ وقوله تعالى : **(ان أكرمكم عند الله اتقاكم)** الحجرات /١٣ وقوله سبحانه **(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)** المائدة / ٢ .

٣ — ونستطيع ان نستنبط للتقوى — مع هذه الدلالة العامة التي تجمع كل فضيلة وتنفي كل رذيلة — معاني جزئية تتصل بها فضائل معينة :

أ — فالكرم متصل بها في قوله تعالى : **(فأما من اعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى .)** الليل / ٥ — ٧ .

وفي قوله تعالى : **(وسيجنبها الأتقى . الذي يؤتى ماله يتزكى .وما لأحد عنده من نعمة تجزى . الا ابتغاء وجه ربه الأعلى)** الليل / ١٧ — ٢٠ .

ب — والشجاعة متصلة بها في قوله تعالى : **(يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين)** التوبة / ١٢٣ . وقوله سبحانه : **(يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)** آل‌عمران / ٢٠٠ فقد أمرهم الله بالصبر على الدين وتكاليفه أو بالصبر على الشدائد وامرهم بمغالبة أعداء الله في الصبر على أهوال الحرب ، وبالاقامة في الثغور مرابطين فيها بخيلهم ، مترصدين للغزو والدفاع عن الوطن والدين .

جـ — والعدل مرتبط بالتقوى في قوله تعالى : **(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين)** البقرة / ١٩٤ ، وقوله تعالى : **(يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون)** المائدة / ٨ .

د — والعفة ذات علاقة بها في قوله تعالى : **(يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا)** الاحزاب / ٣٢ فقد نهى الله تعالى نساء النبي اذا ما أردن التقوى عن الاجابة بكلام لين مريب حتى لا يطمع فيهن صاحب فجور ، وامرهن ان يقلن قولا حسنا فيه الجد وقطع الطمع فيهن .

هـ — وللصدق صلة بها في قوله تعالى : **(يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)** التوبة / ١١٩ .

و — والوفاء بالعهد شعبة من التقوى في قوله تعالى : **(فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وكان الله بكل شيء عليما)** الفتح / ٢٦ فقد روى عن الحسن ان كلمة التقوى هنا هي الوفاء بالعهد ، واضيفت الكلمة الى التقوى لأنها سبب التقوى واساسها . وفي قوله سبحانه : **(الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون)** الأنفال / ٥٦ .

ز — والرحمة غصن من دوحتها في قوله تعالى : **(وليخش الذين لو**

تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) النساء / ٩ وذلك ان الله تعالى امر الأوصياء بأن يخشوا ربهم فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم ، كما يخافون على ابنائهم ويشفقون عليهم لو انهم تركوهم ضعافا .

ح – والعفو جزء منها في قوله سبحانه : **(وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله)** الشورى / ٤٠ .

ط – والصبر جانب من جوانبها في قوله تعالى : **(وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وماصبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون . ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)** ١١٦ – ١٢٨ النحل . فقد روى أن المشركين مثلوا ببعض المسلمين يوم احد ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة وقد بقروا بطنه ، ومثلوا به ، فقال : « اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك » ، فنزلت الآيات ، فكفر عن يمينه ، وكف عما اراده . وفي الآية أمر من الله للنبي بالصبر ، وتأكيد ان الله ولي المتقين الذين يحسنون ما يعملون وهم الذين يخشون ربهم ، وهم الذين يصبرون . وفي قوله تعالى . **(لتبلون في أموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور)** آل عمران / ١٨٦ .

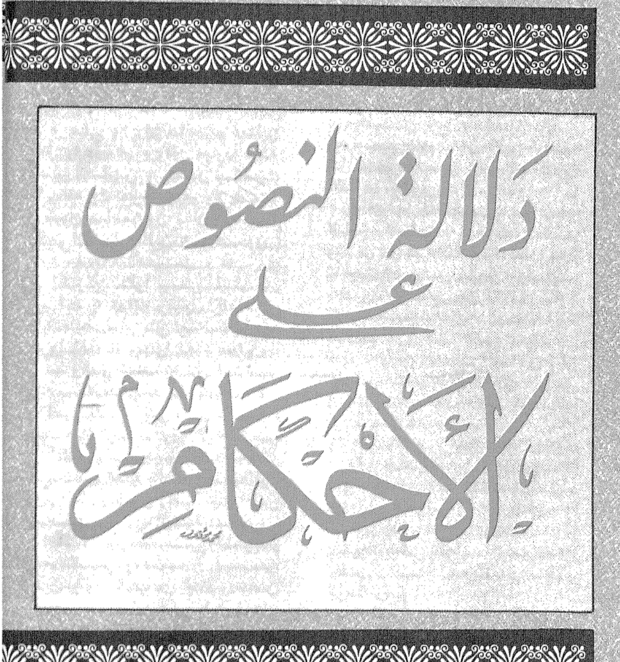
ى – والأمانة فرع من التقوى في قوله تعالى : **(فليؤد الذى أؤتمن أمانته وليتق الله ربه)** البقرة / ٢٨٣ . وفي قوله سبحانه : **(يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا)** البقرة / ٢٨٢ .

ك – وقوة العزيمة ومضاء الارادة مظهر من مظاهر التقوى في قوله تعالى : **(خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين . وأما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم . ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون)** الأعراف/١٩٩ – ٢٠٠ أي خذ ما عفا لك من اخلاق الناس وافعالهم ، وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ، ولا تطلب منهم ما يجهدهم ويشق عليهم ، وأمر بالمعروف والجميل من الأفعال ، ولا تكافيء السفهاء بمثل سفههم ، ولا تجادلهم ، بل احلم عليهم ، واعرض عنهم . وروى جعفر الصادق : ان الله امر نبيه بمكارم الأخلاق ، وليس في القرآن آية اجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية .

فان حملك الشيطان بوسوسته على خلاف هذا فلا تطعمه ، واستعذ بالله من وسواسه ، لأن المتقين اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان تذكروا ما أمر الله به ونهى عنه ، فأبصروا السداد ، وتغلبوا على الوسواس .

هكذا يتبين ان التقوى محور الفضائل كلها وان الفضائل تدور في فلكها الرحيب موصولة بها منجذبة اليها .

مصادر التشريع الإسلامي



للدكتور محمد سلام مدكور

كان جل فقهاء الصحابة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من العرب، وقد نزل القرآن بلغتهم ، وجاءهم رسول من انفسهم يتكلم بلسانهم وعاصروه ، فكان من السهل عليهم ان يفهموا ما تحمله النصوص من احكام بمقتضى سليقتهم، ومعاصرتهم لها ، وتعرفهم على مناسباتها ، وكانوا اذا تلوا نصوص القرآن أمعنوا فيها النظر حتى يتبينوا مراميها ، يقول ابن مسعود « كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن » .

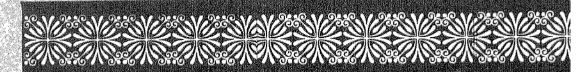
لكن بعد ان دخل في الاسلام كثير من غير العرب ممن تعلموا العربية وبرزوا في الدراسات الاسلامية ، ولم تكن العربية لغتهم الأصلية احتاج الأمر الى وضع قواعد تبين طرق التعرف على الأحكام من حيث النظر في الألفاظ ودلالتها ، ومراتب الادلة ، وتعارضها ، ووجوه ترجيحها . وذلك اخذا من الطرق التي سلكها الشارع في تقرير أحكامه ، والمقاصد التي يمكن التوصل بمراعاتها الى فهم الأحكام من النصوص على الوجه الصحيح ، ويكشف ما فيها من خفاء ، ويرفع ما بينها من تعارض فيمايظهر لهم . ولما كانت النصوص عربية فصيحة فقد عني الأصوليون بالقواعد اللغوية عنايتهم بالقواعد الأصولية . ولعلاقة اللفظ بالمعنى عدة اعتبارات :

ا) فمن ناحية اعتبار المعنى الذي وضع له يكون خاصا وعاما وجمعا منكرا ومشتركا .

ب) ومن ناحية اعتبار المعنى الذي استعمل فيه يكون حقيقة ومجازا ، وصريحا وكناية .

جـ) ومن ناحية اعتبار خفاء المعنى وظهوره يكون واضحا وخفيا مع تقارب مراتب كل منهما .

د) ومن ناحية اعتبار طرق دلالة النص . تكون دلالة منطوقة او كما يقول الحنفية دلالة عبارة ودلالة اشارة ودلالة اقتضاء ، او تكون دلالة مفهوم موافقة



ويسميها الحنفية دلالة نص ، او تكون دلالة مفهوم مخالفة ، وانا سنعرض هنا فكرة مبسطة لشيء من مباحث الالفاظ ودلالتها مع الاحالة الى كتب الأصـــول ومنها كتابى « اصول الفقه الاسلامى » .

اولا — من ناحية الخصوص والعموم :

أ) اللفظ ان وضع فى اللغة للدلالة على معنى واحد على سبيل الانفراد فهو ما سماه الأصوليون (الخاص) مثل محمد فى الدلالة على معنى واحد بالشخص ، ومثل رجل وامرأة فى الدلالة على معنى واحد بالنوع ، ومثل انسان للدلالة على معنى واحد بالجنس ، ومثل الاعداد ثلاثة وخمسة ومائة ومثـــل رهط فانها موضوعة للدلالة على افراد متعددة محصورة بدلالة اللفظ نفسه .

واللفظ الخاص كما يكون من الأسماء الجامدة على ما ذكرنا فانه يكون من الالفاظ المشتقة كصيغ الأمر والنهى مثل : **(وكلوا واشربوا)** ، **(واقيموا الصلاة) وآتوا الزكاة)** اذ المعنى فيها واحد وهو طلب الأكل وطلب الشرب وطلب اقامة الصلاة وطلب ايتاء الزكاة ، كما يكون اللفظ الخاص من الصفات التى لم تعرف بأل كاسم الفاعل مثل لفظ قاتلوا فى قوله تعالى : **(وقاتلوا المشركين كافة)** ، وكذلك من الفاظ الخصوص حروف الجر ، وحروف العطف ، واسماء الظرف، وبعض كلمات الشرط كأن ولو ، ومنها أيضا النكرة في سياق الاثبـــات كرجل ورجال فانها تدل على الوحدة الشائعة اذا كانت مفردة وتدل على ما فوقها من تثنية وجمع شائعين . فهى فى المثنى شائعة فى المثنيات ، وفى الجمع شائعة فى الجموع .

حكم الخاص :

واللفظ الخاص الوارد فى نصوص التشريع الاسلامى كتابا كان أو سنة يدل على المعنى الواحد الموضوع له على سبيل القطع . ما لم يمنع من ذلك دليل آخر يصرفه عن الموضوع له . فلفظ **(ثلاثة)** فى قوله **(فصـــيام ثلاثة ايام)** المائدة/٨٩ خاص ولا يمكن حمله على الأقل أو الأكثر . ولفظ نصف فى قوله سبحانه : **(ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد)** ولفظ نار فى قوله تعالى : **(يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم)** كلها الفاظ خاصة تفيد القطع فى المعنى الذى وضعت له،ولاعبرة بالاحتمال الذى لم يقم عليه دليل كاحتمال ان يكون المراد من لفظ نار فى الآية المذكورة غضب نمرود الحاكم . اذ لم يقم عليه دليل فلا يؤثر لذلك علىقطعية دلالة لفظ نار على اللهب المشتعل المحرق .

والخاص لا يحتمل البيان لانه بين بنفسه لكنه يحتمل التأويل ، ولاحتماله التأويل فقد صرف الحنفية ، اللفظ الخاص عن معناه الحقيقى فى بعض النصوص لوجود قرينة تقتضي صرفه عن الحقيقة . فلفظ (شاة) فى قوله عليه السلام : « فى كل اربعين شاة — شاة » فالحديث يفيد الخصوص فى تقدير النصاب الذى تجب فيه الزكاة ، وفى العقد الواجب اخراجه . لكن الحنفية أولوا القدر الواجب هنا بما يعم الشاة وقيمتها .

وقد تكون صيغة الخاص مطلقة عن أى قيد يقلل من شيوعها ، **كما تكون** مقيدة بقيد لفظى يقلل من شيوعها . كأن تقيد لفظ مصرى بمسلم ، **ولفظ عربى** بكويتى ، ولفظ حيوان بمفترس . ومن ذلك قوله تعالى فى كفارةالقتل الخطأ : **(ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة)** النساء/٩٢ ، فالقتل الذى تجب فيه الكفارة مقيد بكونه وقع خطأ فلا تجب الكفارة فى القتل العمد . والرقبة الواجب عتقها قيدت بكونها مؤمنة فلا تجزى الكافرة .

ومن الفاظ الخاص التى جاءت مطلقة ولم تقيد كلمة **(ايام) فى قوله تعالى (ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر)** البقرة/١٨٥ . فانها لم تقيد بكونها متتابعة ، ولفظ أزواج فى قوله تعالى **(والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بانفسهن أربعة أشهر وعشرا)** البقرة/٢٣٤ . **فقد جاء مطلقا** من قيد المدخول بهن . فوجبت عدة الحداد على غير المدخول بها أيضا .

اما اذا وجد دليل يدل على تقييد المطلق ، ولو كان نصا آخر منفصلا فانه يتقيد به ومن ذلك تقييد لفظ وصية فى **قوله تعالى (.. من بعد وصية ..)** بحديث « الثلث والثلث كثير » وبحديث « لا وصية لوارث » . **وللفقهاء تفصيل** فى حمل المطلق على المقيد عند ورود نصين أحدهما مطلق والآخر **مقيد بعد أن** اتفقوا على انه اذا كان السبب مختلفا فى النصين وكذا الحكم مختلفا فانه لا يحمل المطلق على المقيد ، كما اتفقوا على انه اذا اتفق السبب والحكم فى النصين وكان الاطلاق والتقييد بالنسبة للحكم . فان المطلق يحمل على المقيد . اما اذا كان الاطلاق والتقييد بالنسبة للسبب فانه **لا يحمل عند الحنفية ، كما** اتفقوا على انه اذا اتحد النصان فى السبب واختلفا فى الحكم فان المطلق لا يحمل على المقيد . اما اذا اختلف النصان فى السبب واتحدا فى الحكم فان المقيد الا لدليل خاص يقتضي الحمل . **على ما بيناه تفصيلا بالمثال فى كتابنا أصول** الشافعية يحملون المطلق على المقيد لكن الحنفية لا يرون حمل **المطلق على** الفقه الاسلامى .

ب) العام :

اما العام فهو لفظ فى أصل اللغة للدلالة على افراد غير محصورين على سبيل الشمول لهم والاستغراق كلفظ **(الرجال) (النساء) (المسلمات) (الجن) (الانس)** فانها كلها وضعت للاستغراق والشمول ما لم يصرفها عن ذلك صارف .

وصيغ العموم كثيرة : فمنها الجمع المعرف بأل الجنسية أو بالاضافة ما لم تصرفه عن العموم قرينة فلفظ **(المشركين)** فى قوله تعالى **(ان الله برىء من المشركين ورسوله)** التوبة/٣ ، ولفظ **(أولادكم)** فى قوله سبحانه **(يوصيكم الله فى أولادكم)** يدل على افادة العموم .

ومن صيغ العموم المفرد المعرف بأل الجنسية أو الاضافة ما لم **تصرفه** قرينة عن افادة العموم فلفظ (الانسان) فى قوله سبحانه **(والعصر ان الانسان لفى خسر ..)** ولفظ **(ماء)** ولفظ **(ميته)** فى قول الرسول عليه السلام **عن** البحر « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » كلها الفاظ تفيد العموم والاستغراق

والشمول ما لم يصرفها عن ذلك صارف .
ومن ذلك النكرة فى سياق النفى أو النهى أو الشرط . فلفظ (**بشر**) فى قوله تعالى : (**ما أنزل الله على بشر من شيء**) نكرة وقعت فى سياق النفى فتعم ، ولفظ (**أحد**) فى قوله سبحانه : (**ولا تصل على أحد منهم مات أبدا**) نكرة وقعت بعد النهى فتعم ، ولفظ (**فاسق**) فى قوله تعالى : (**آن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ..**) الحجرات/٦ ، نكرة وقع بعد الشرط فيعم كل فاسق .
ومن ذلك أيضا (النكرة) الموصوفة بوصف عام مثل (**قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى**) فلفظ (**قول**) نكرة وصف بوصف عام فأفاد العموم .
ومن ذلك أسماء الشرط مثل (**فمن شهد منكم الشهر فليصمه ..**) وأسماء الموصول مثل : (**ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ..**) النساء/٢٢ ، وأسماء الاستفهام مثل : (**من فعل هذا بآلهتنا يا ابراهيم**) الأنبياء/٦٢ ، ولفظ كل ، ولفظ جميع ، فان ما أضيف اليه كل منهما ، ولو فى المعنى ، يفيد العموم مثل (**كل نفس ذائقة الموت**) آل عمران/١٨٥ ، على ما هو مبين تفصيلا فى كتب الأصول .
والفاظ العموم تفيد استغراقها لجميع الأفراد ، واذا قيل فى لفظ عام ان المقصود به الخصوص طلب الدليل على ذلك ، ولذا فان الصحابة فهموا من عموم قول الله سبحانه : (**يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين**) انه عام فى جميع الأولاد ، واتجهوا الى توريث السيدة فاطمة بنت النبى صلوات الله وسلامه عليه ، ولم يصرفهم عن ذلك الا دليل آخر صارف وهو ما روى عن الرسول أنه قال : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » .
هذا وقد ترد بعض النصوص فى الكتاب موجهة للرسول دون ما يفيد انه خاص به ، ولا انه متناول لجميع الأفراد مثل (**يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ..**) فان الخطاب وان كان موجها للنبى فى الصورة ولم يتناول الأمة بلفظه الا انه فى الواقع يتناولها شرعا . ضرورة الاقتداء به والاهتداء بهديه .
كما يلاحظ فى نصوص السنة ان الرسول عليه السلام قد يجيب أحد الأفراد على سؤال له . فان الاجابة تفيد عموم الحكم لتساوى الناس ما لم تقم قرينة تجعل الجواب خاصا . وكذلك فقد يرد فى القرآن حكم جوابا لسؤال أو استفتاء مثل حكم اللعان وحكم الظهار . فان كل ذلك يكون من قبيل ورود العام على سبب خاص . ولذا فان الأصوليين وضعوا قاعدة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) ومن ذلك سؤال أحد الصحابة عن حكم التوضؤ بماء البحر عند الحاجة للماء العذب للشرب . فقد فهم الفقهاء من حديث « هو الطهور ماؤه .. » عموم صحة الطهارة بماء البحر سواء كان محتاجا للماء العذب أو غير محتاج اليه وسواء كانت الطهارة لرفع الحدث الأصغر أم كانت لرفع الحدث الأكبر .
والحنفية يرون أن دلالة العام من الكتاب والسنة المتواترة تكون قطعية على جميع أفراده اذا لم يدخله تخصيص الا اذا وجدت قرينة صارفة ، أما اذا دخله التخصيص فان دلالته على باقى أفراده تكون ظنية .
لكن جمهور الأصوليين من غير الحنفية يرون ان دلالة العام فى جميع احواله ظنية سواء دخله التخصيص ام كان باقيا على عمومه . اذ العام كثر

تخصيصه وشاع حتى قال الأصوليون « ما من عام الا وخصص » بل نفس هذه القاعده فى الواقع يدخلها التخصيص بمثل قوله تعالى : **(ولله ما فى السموات وما فى الارض)** وقوله : **(الله خالق كل شيء)** وما دام العام يكاد لا **يخلو من** مخصص فان هذا يورث شبهة قوية تمنع القول بقطعية افادته **الشمول** والاستغراق .

وعلى هذا فلفظ **(والسارق والسارقة)** ولفظ **(الزانية والزانى)** ولفظ (من) فى قول الرسول عليه السلام « **من ألقى السلاح فهو آمن** » **ولفظ (القاتل)** فى قوله « لا يرث القاتل » كلها تدل على جميع الأفراد دلالة قطعية عند الحنفية لعدم تخصيصها . لكن الجمهور يرون أن دلالتها على **الشمول والاستغراق ظنية** لاحتمالها التخصيص .

تخصيص العام ودليل التخصيص :

التخصيص هو ورود ما يدل على اخراج بعض ما يشمله اللفظ العام ويقصره على بعض افراده ، وقد يكون التخصيص بالعقل اذا لم يكن هناك نص مخصص . فالعقل يخرج ذات الله من عموم قوله تعالى : **(الله خالق كل شيء)** كما يكون التخصيص بالعرف ايضا دون خلاف . أما التخصيص بالنص فهو موضع اتفاق أيضا ان كان النص المخصص مستقلا وغير متأخر فى النزول كقوله تعالى : **(وأحل الله البيع وحرم الربا)** فلفظ البيع جاء عاما فيشمل كل معاوضة مالية . وعلى هذا يكون شاملا لعقد الربا . لأنه مبادلة مال بمال مع زيادة احد البدلين . لكن هذا العموم قد خصص بدليل مستقل مقارن وهو قوله سبحانه **(وحرم الربا)** وما دام النص قد خصص فان دلالة العام على باقى أفراده تكون ظنية اتفاقا .

وكذلك قوله تعالى : **(فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** فان لفظ **(من)** جاء عاما يفيد أمر كل من شهد الشهر بالصوم فيشمل المريض والمسافر لكن قد خصص هذا اللفظ بدليل مستقل مقارن وهو قوله **(فمن كان منكم مريضا أو على سفر ..)** ولذا فانه بالاتفاق اصبحت دلالته على الشمول والاستغراق بالنسبة لمن عدا المريض والمسافر ظنية .

أما اذا كان النص المخصص متراخيا فى النزول كان ناسخا لا مخصصا ، واذا لم يكن مستقلا كالاستثناء والصفة والشرط كان عند الحنفية قصرا لا تخصيصا مثل قوله تعالى **(والعصر . أن الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا ..)** لكن الجمهور لا يشترطون شيئا من ذلك ويتوسعون فى التخصيص .

وتخصيص عام الكتاب والسنة المتواترة بالكتاب أو بالمتواتر من السنة جائز دون خلاف لتساويهما فى قطعية الثبوت . ومن ذلك قوله سبحانه **(ولله على الناس حج البيت)** فكلمة الناس بعمومها تشمل الصبى وغير العاقل كما تشمل المسلم والمشرك . وقد خص هذا العموم بما روى متواترا فى المعنى « رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبى حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يفيق » كما خصص بقوله تعالى : **(انما المشركون نجس فلا يقربوا**

المسجد الحرام بعد عامهم هذا) .

ويتفق الجميع على أن العام اذا كان فى نص ظنى الثبوت ، أو فى نص قطعى الثبوت لكنه خصص بدليل قطعى . فانه يجوز تخصيصه بعد ذلك بالنص الظنى . لأن العام بعد التخصيص تكون دلالته ظنية حتى عند الحنفية ومن ذلك قوله تعالى : **(حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم ..)** الى قوله جل شانه : **(واحل لكم ما وراء ذلكم)** فهذه العبارة **(ما وراء ذلكم)** جاءت عامة تشمل المشركة لعدم ذكرها فى المحـــرمات المذكورات قبل . فجاء قول الله ســـــبحانه **(ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن)** مخصصا لهذا العموم لانه مستقل وغير متاخر فى النزول فتبقى دلالة العام بعد ذلك ظنية . فيجوز تخصيصه بما هو ظنى . ولذا فانهم اتفقوا على تخصيصه بخبر الآحاد وهو ما روى ان الرسول قال **« لا تنكح المراة على عمتها ولا على خالتها انكم ان فعلتم ذلك قطعتم ارحامكم »** .

اما النص القطعى الثبوت قرآنا كان او سنة متواترة . فلا يجيز الحنفية تخصيصه ابتداء بخبر الآحاد تبعا لقولهم ان دلالة العام قبل التخصيص قطعية بينما الاخبار ظنية ، على ان بعض الحنفية اجاز تخصيص عام القرآن والسنة المتواترة بالخبر المشهور ولو ابتداء اذ الحقوا المشهور فى هذا بالمتـــواتر لانه يفيد طمانينة قوية . ولذا فقد خصصوا عموم تحريم الميتة الوارد فى قوله تعالى **(حرمت عليكم الميتة ..)** بحديث **« هو الطهور ماؤه الحل ميتته »** لانه حديث مشهور .

اما جمهور الفقهاء فتبعا لقولهم : ان دلالة العام ظنية فى جميع احواله فقد اجازوا تخصيص عام الكتاب والمتواتر من السنة باخبار الآحاد ، ولا اثر لكون النص العام قطعى الثبوت هنا لأن الكلام يتعلق بالدلالة لا بالثبوت .

وبناء على خلافهم هذا . فقد حرم الحنفية اكل ذبيحة المسلم المتعمد ترك التسمية لعموم قوله تعالى **(ولا تاكلوا مما لم يذكر اســـم الله عليه)** ولم يقبلوا تخصيص هذا النص بالخبر وهو « ذبيحة المسلم حلال ذكر اســـم الله او لم يذكر » .

بينما الشافعية ومن معهم يرون ان دلالة العام قبل التخصيص ظنية ايضا يخصون بهذا الخبر . ولذا فانهم يبيحون اكل ذبيحة المسلم ولو لم تقع التسمية . على تفصيل بينهم بيناه فى كتابنا **« الاباحة عند الأصوليين والفقهاء »** .

بقى أن نشير الى الجمع المنكر والمشترك :

الجمع المنكر : هو لفظ دل بوضعه على كثير غير محصور بدون استغراق لكل فرد من افراده يستوى فى ذلك ان يكون جمع مذكر سالم او جمع مؤنث أو جمعتكسير من جموع القلةاو الكثرة وذلك مثل مسلمونومسلمات وفتية ورجال . والجمع المنكر ما دام يتناول كثيرا من الافراد دون استغراق فانه يصلح لكل عدد على سبيل البدل ومن ذلك قوله تعالى : **(يســبح له فيها بالغدو والآصال . رجال ..)** .

وعلى هذا فالجمع المنكر لا يعتبر من قبيل الخاص لتعدد معناه الموضوع له ولا من قبيل العام لكونه غير مستغرق على تفصيل بيناه فى كتابنا اصول الفقه

الاسلامى ، كما بينا فيه الأقوال فى أقل ما تطلق عليه صيغة الجمع المنكر .

أما المشترك : فهو اللفظ الذى اشترك فيه معنيان فأكثر ووضع لكل واحد منهما وضعا مستقلا مثل لفظ (قرء) فانه مشترك لفظى وضع فى اللغة لافادة معنى كل من الطهر والحيض وكلفظ مولى فانه وضبع للسيد كما وضع للعبد ومثل عين فانها وضعت لعدة معان بأوضاع متعددة .

واذا تحقق الاشتراك ولم تقم القرينة على تعيين احد المعنيين او المعانى . فان الحنفية وبعض الشافعية يرون أنه لا يفيد العموم وعلى المجتهد ان يتلمس القرينة التى تدل على المعنى المراد . ويرى جمهور الشافعية عند انعدام القرينة وجوب حمل اللفظ على كل معانيه متى أمكن الجمع بينها اى انه يفيد العموم ومن ذلك كلمة (يسجد) فى قوله سبحانه **(ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر ..)** فانها بمعنى وضع الجبهة على الأرض وبمعنى الخضوع لسنة الله الكونية وكلاهما مراد ومن ذلك لفظ وبمعنى الخضوع لسنة الله الكونية وكلاهما مراد ومن ذلك لفظ الصلاة فى قوله الصلاة فى قوله تعالى : **(ان الله وملائكته يصلون على النبى)** فانها من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وكلاهما مراد . وهناك من الحنفية من قال ان اللفظ المشترك يراد كل واحد من معانيه فى النفى دون الاثبات على ما بيناه فى كتابنا أصول الفقه الاسلامى . وبينا أن بعض الشافعية يتجه الى أن المشترك من باب العموم . لكن بعضهم يمنعون ذلك كما منعه الحنفية أيضا .

الاسلامى . وبينا ان بعض الشافعية يتجه الى أن المشترك من باب العموم . لكن بعضهم يمنعون ذلك كما منعه الحنفية أيضا .

ثانيا — اللفظ من ناحية استعماله .. مجاز وحقيقة :

اذا كان اللفظ عند الاستعمال محتملا الحقيقة والمجاز . حمل على الحقيقة لانها الأصل . ما لم توجد قرينة تصرفه عن الحقيقة الى المجاز . ونقصد بالحقيقة : استعمال اللفظ فى المعنى الذى وضع له لغة أو شرعا أو عرفا . ونقصد بالمجاز : استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة بينه وبين المعنى الموضوع له مع وجود قرينة تمنع ارادة المعنى الحقيقى .

ويثبت للفظ المستعمل فى معناه الحقيقى المعنى الموضوع له كاملا فيفيد العموم ان كان عاما والخصوص ان كان خاصا والطلب أن كان أمرا والامتناع ان كان نهيا ويثبت للمجاز المعنى الذى استعير له اللفظ . فالمراد من قوله تعالى : **(أو جاء أحد منكم من الغائط)** الحدث الأصغر والمراد من قوله سبحانه : **(او لامستم النساء)** الوطء كما يرى الجمهور . وكلاهما معنى مجازى .

ويرى الشافعية أنه لا عموم للمجاز وانما يتناول اللفظ اقل ما يصح به الكلام اذ دلالة اللفظ على المعنى المجازى دلالة ضرورة ، والضرورة تقدر بقدرها . أما الحنفية فانهم يعطون للمجاز حكم الحقيقة ، ولا يتصرون دلالة اللفظ المجازى على أدنى ما يتحقق به الكلام . اذ أن عموم اللفظ وخصوصه يستفاد من دلائل لا دخل للحقيقة او المجاز فيها .

على أن اللفظ سواء كان مستعملا فى الحقيقة او فى المجاز : اما أن يكون

صريحا يظهر منه المراد لكثرة استعماله فيه مثل تزوجت ومثل **(واســـال القرية ..)** فان الكلام صريح فى افادة المعنى الحقيـــقى فى الأول وصريح فى افادة المعنى المجازى فى الثانى وهو سؤال أهل القرية .

واللفظ الصريح يثبت مقتضاه بمجرد التلفظ به دون نظر لارادة المتـكلم وقصده ولذا فان جمهور الفقهاء يوقعون الطلاق باللفظ الصريح دون توقف على القصد .

واما ان يكون اللفظ كنائيا . وهو ما استتر المعنى المراد منه سواء اكان اللفظ قد استعمل استعمالا حقيقيا كما فى قولك لآخر امام الناس عن أمر لا تريد اظهاره لهم : لقد لقيتصاحبك وكلمته فى المسالة . أم كان مستعملا استعمالا مجازيا كقول الرجل لزوجتـــه أنت حرة قاصدا بذلك الطلاق . والفاظ الكتابة يشترط الحنفية فيها النية أو دلالة الحال . اما غير الحنفية من المالكية والشافعية فيشترطون النية فقط وهى لا تعلم الا من جهته .

ثالثا ـــ اللفظ من ناحية الوضوح والخفاء :

ا) ينقسم اللفظ من ناحية الوضوح والدلالة علي المعنى بنفس الصيغة من غير توقف على امر خارجي الى اربعة أقســـام : ظاهر . ونص . ومفسر . ومحكم . واكثرها وضوحا المحكم فالمفسر فالنص فالظاهر . وسنتكلم عنهـــا بايجاز :

١ ـــ الظاهر : اللفظ الدال بنفس الصيغة من غير توقف على أمر خارجى على معنى متبادر منه غير مقصود اصالة بسوق الكلام مع احتمال التفسـير والتاويل وقبوله النسخ فى عهد الرسالة . مثل قوله تعالى : **(واحل الله البيع وحرم الربا)** فى الرد على من قالوا : **(انما البيع مثل الربا)** فالمقصود الأصلى نفى المماثلة بين البيع والربا . لكن المعنى المتبادر للذهن من نفس الصيغة هو حل البيع وحرمة الربا . فكانت دلالة هذه الآية على كل من الحل والحرمة من قبيل الظاهر . لانه المتبادر للذهن من نفس الصيغة ، ولأن كلا من لفظى البيع والربا يحتمل التخصيص لأنه من الفاظ العموم ، كما ان هذا الحكم كان محتملا النسخ فى عصر الرسالة .

٢ ـــ النص : وهو اللفظ الدال بنفس الصيغة على المعنى المقصود اصالة مع احتمال التاويل وقبوله النسخ فى عهد الرسالة مثل دلالة **(واحل الله البيع وحرم الربا)** على نفي المماثلة الذى سيق الكلام لبيانه اصالة ، ومثل حديث : « هو الطهور ماؤه .. » فى افادة جواز الوضوء من ماء البحر عند الحـاجة للماء العذب .

هذا وكل من الظاهر والنص يعتبر دليلا شرعيا يجب العمل به ما لم تصرفه قرينة ، فان كان عاما بقى على عمومه ، وان كان مطلقا بقى على اطلاقه ما لم يصرفه عن الاطلاق دليل آخر فقوله تعالى : **(والمطلقات يتربصن بانفسهن ..)** ظاهر فى افادة عدم حل التزوج لها حتى تنقضي عدتها ، ونص فى وجوب العدة .

ولفظ المطلقات جاء عاما شاملا لكل مطلقة حتى ولو لم تكن مدخولة بها .

لكن بوجود دليل مخصص وهو قوله تعالى : **(اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهم من عدة تعتدونها)** .

٣ — المفسر : وهو ما دل بصيغته على المعنى المقصود الذى سيق لأجله الكلام لكنه لا يحتمل التفسير ولا التاويل وان كان قابلا للنسخ فى عهد الرسالة . وقد يكون اللفظ مفسرا بذاته وهو ما كانت الصيغة دالة بنفسها على المعنى بوضوح كلفظ **(مائة)** فى قوله تعالى فى حد الزنى **(فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة)** ، فانه دل بذات الصيغة على المعنى المقصود الذى سيق الكلام لأجله وهو بيان عقوبة الزنى ، دون حاجة الى تفسير ولا تأويل بالزيادة أو النقص ، ومع هذا فقد كان فى عهد الرسالة يقبل النسخ .

وقد يكون اللفظ مفسرا بغيره . بأن كانت الصيغة مجملة وورد من الشارع بيان فسرها وازال ما فيها من اجمال . ومن ذلك قوله تعالى : **(اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)** وقوله : **(واحل الله البيع)** فكل من لفظ الصلاة والزكاة والبيع جاء مجملا . وقد فسر ببيان من الشارع عن طريق السنة فأصبح لا يحتمل التاويل . ومن ذلك لفظ **(هلوعا)** فى قوله تعالى **(ان الانسان خلق هلوعا)** فهو مجمل يحتاج الى بيان ، وقد بينه الشارع بعد ذلك بقوله : **(اذا مسه الشر جزوعا)** ولذا سمى هذا النوع بالتفسير التشريعى .

٤ — المحكم : **هو اللفظ الدال بصيغته على المقصود اصالة والمسوق له** الكلام دون احتمال التأويل او التفسير ولا قبول النسخ حتى فى عهد الرسالة ، لان الحكم المستفاد منه اما أن يكون من الاحكام الكلية الأساسية المتعلقة بالعقائد كالوحدانية ، او الأمور الخلقية الثابتة كالأمانة والعدل ، او من الاحكام التكليفية الجزئية التى اقترن بها ما يدل على تأييد الحكم ودوامه . كلفظ **(ابدا)** فى قوله تعالى فى تحريم التزوج بزوجات النبى من بعده : **(ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا)** وقول الرسول عليه السلام : **« الجهاد ماض الى يوم القيامة »** .

ولانتفاء احتمال التأويل فى المحكم اصالة ، وبعد البيان فى المفسر ، وعدم قبول المحكم للنسخ مطلقا حتى فى عهد الرسالة افترق كل من المفسر والمحكم عن النص والظاهر ، كما يبين انه عند التعارض يقدم المحكم فالمفسر فالنص فالظاهر .

ب) اما اللفظ باعتبار الخفاء فينقسم اللفظ الذى لا يفهم المراد منه الا بواسطة أمر خارجى الى خفى ومشكل ومجمل ومتشابه . الذى هو اكثرها خفاء .. واليك بيانها :

١ — الخفى : اللفظ الذى فى انطباق معناه على بعض افراده نوع خفاء ، ولم يكن الخفاء من نفس الصيغة وانما لعارض خارجى يورث شبهة فى دلالة اللفظ على معناه العام فلفظ **(السارق)** فى قوله سبحانه **(والسارق والسارقة)** واضح فى اخذ مال الغير خفية من حرز . لكن فى دلالة هذا اللفظ خفاء على كل من النباش الذى ينبش القبور لأخذ اكفان الموتى وغيرها ، والنشال الذى يأخذ ما مع الشخص المتيقظ فى غفلة منه . ولم يكن الخفاء ناشئا من نفس الصيغة ، وانما من اختصاص كل منهما باسم خاص فأورثت هذه المقابلة بين السارق والنشال والنباش شبهة فى انطباق معنى السارق عليهما واعطائهما حكمه ، واذا كان الفقهاء انتهوا بعد النظر والتأمل الى ان النشال سارق وزيادة

فيقام عليه حد السرقة فانهم اختلفوا بالنسبة للنباش اذ الخفى يحتاج لازالة ما فيه من خفاء الى نظر وتأمل .

٢ ــ المشكل : اللفظ الذى خفيت دلالته على المعنى المراد منه بسبب فى نفس اللفظ لاحتماله لاكثر من معنى ، ولا بد من وجود قرينة تبين المراد كلفظ (قرء) فهو مشترك ، ولذا أشكل الأمر على الفقهاء . فرجح الشافعية ومن وافقهم أن المراد به الطهربقرينة تأنيث العدد ثلاثة . فلا بد أن يكون العدد مذكرا وهو الطهر لا الحيضة .ورأى الحنفية أن المقصود الحيضة ، وغلبوا قرائن أخرى منها حديث « عدة الأمة حيضتان » وحديث « المستحاضة تدع الصلاة أيام اقرائها » ومنها أن العدة شرعت للتعرف على براءة الرحم من الحمل ، والذى يدل على ذلك هو الحيض لا الطهر ، كما أن لفظ ثلاثة خاص لا يقبل الزيادة ولا النقصان ولا يكون هذا الا اذا كان المراد بالقرء هو الحيض اذ الطلاق ما يكون فى طهر لم يمسسها فيه .

وقد يكون الاشكال بسبب تعارض ما يفهم من نص مع ما يفهم من نص آخر مع أن كلا منهما على حدة لا أشكال فيه . ومن هذا قوله تعالى : **(ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك)** مع قوله سبحانه : **(قل كل من عند الله)** فيجب على المجتهد ان يتوصل بالقرائن الى تأويل النصوص المتعارضة فى نظره بما يزيل التعارض ، وان يتوصل ايضا بالقرائن الى تعيين المراد من اللفظ المشترك .

٣ ــ المجمل : اللفظ الذى لا يدل بصيغته على المراد منه ، ولا توجد قرائن تعين المراد ولا مجال للعقل فى ادراكه وانما يتوقف ذلك على بيان الشارع . ومن ذلك اللفظ الذى أريد منه معنى غير معناه اللغوى كالصلاة فقد نقله الشارع من معناه اللغوى الذى هو الدعاء الى معنى آخر اصطلاحى لا مجال للعقل أن يدركه الا عن طريق الشرع .

وحكم المجمل : التوقف فى تعيين المراد منه حتى يرد البيان من الشارع . فان كان البيان قطعيا ووافيا صار المجمل بهذا مفسراً ومن ذلك بيان الرسول للصلاة . وان كان البيان بدليل ظنى فان اللفظ يبقى معه محتملا للتأويل فمسح الراس فى الوضوء جاء مجملا فى مقدار ما يمسح وبينه الرسول بما روى عنه أنه توضأ ومسح ناصيته . لكن هذا الخبر ظنى فى ثبوته . فلا يمنع التأويل ولذا كان موضع نظر واجتهاد .

ولفظ **(الربا)** ورد مجملا فى القرآن وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى بيانه قوله : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والملح بالملح ، والتمر بالتمر مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد . فاذا أختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد » . فان هذا الخبر فضلا عن انه ظنى فى ثبوته فانه لم يحصر الربا فى الأشياء الستة المذكورة ، ولم يبين أنه يشمل غيرها أيضا . فكان الربا المحرم برغم هذا البيان محتملا فى بعض صوره للتأويلوالنظر على ما بيناه فى كتابنا مناهج الاجتهاد فى الاسلام حتى قال عمر بن الخطاب فيما روى عنه : قبض رسول الله قبل أن يبين لنا ثلاثا ولو علمتها لكان احب الي من الدنيا وما فيها ، الكلالة والخلافة والربا .

٤ — المتشابه : اللفظ الذى لا تدل صيغته على المعنى المراد منه وتعذرت معرفته ولم توجد قرينة تعين على معرفتـه ولم يبينه الشـارع وانما استأثر بعلمه مثل قوله تعالى : (**يد الله فوق أيديهم**) وقوله : (**الرحمن على العـرش استوى**) مما لا يرد فى آيات الأحكام ولا يتعلق بالتشريع وانما هو من مباحث علم الكلام .

وللعلماء فى المتشابه اتجاهان : الأول تفويض علمها لله سـبحانه مع الايمان بها دون البحث عن التأويل ، ومع تنزيه الاله عن التشبيه ، الثانى : وهو اتجاه المعتزلة ان ظاهر هذه الآيات مستحيل ، وكل ما ظاهره مستحيل يجب أن يؤول الى معنى يحتمله ولو بطريق المجاز .

ومن النصوص المتشابهة يبين : ان المتشابه نوعان : متشـابه اللفظ كأوائل بعض السور (**الم**) ، (**الر**) (**حم**) (**كهيعص**) ومتشـابه المفهوم ان استحال ارادته مثل : الاستواء على العرش بالنسبة لله سبحانه .

رابعا — اللفظ من ناحية دلالته على المعنى :

حصر الشافعية ومن وافقوهم طرق الدلالة فى قسمين : دلالة منطـوق ودلالة مفهوم ، وقالوا : ان دلالة المنطوق هى دلالة اللفظ على حكم شيء ذكر فى الكلام .

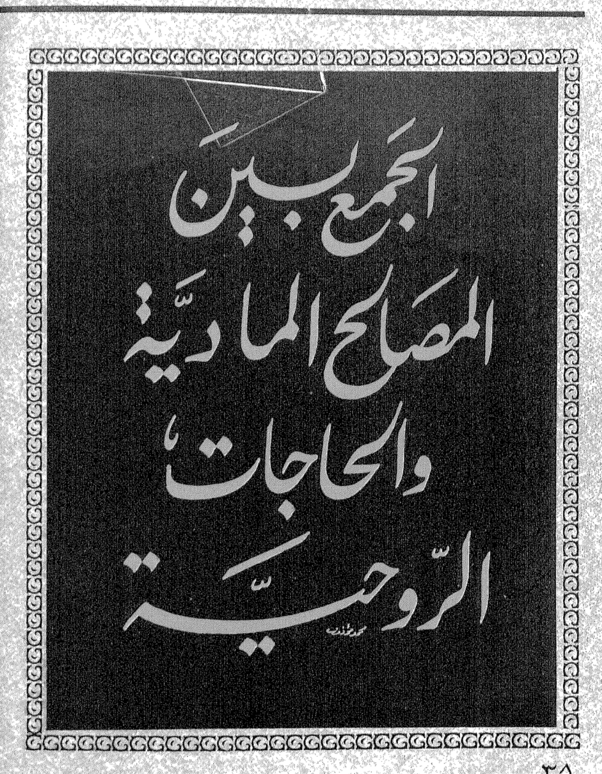
أما دلالة المفهوم فهى دلالة اللفظ على حكم شيء لم يذكر فى الكلام ولم ينطق به وهى عندهم نوعان :

١ — مفهوم موافقة : وهي دلالةالكلام على ثبوت حكم المنطوق للمسكوت عنه وهى ما سماه الحنفية بدلالة النص .

٢ — مفهوم مخالفة : وهو ما كان السكوت عنه مخـالفا للمذكور فى الحكم .

والأصوليون فى جملتهم يستدلون بمفهوم الموافقة ، وبدلالة المنطوق مع اختلاف مناهجهم فيها . أما بالنسبة لمفهوم المخالفة فالحنفية يخـالفون فى الجملة فى اعتباره دليلا بالنسبة للنصوص . فقول الرسول صلى الله عليـه وسلم « لى الواحد يحل عرضه ودمه » يدل بمنطوقه اتفاقا عى أن مماطلة الموسر فى أداء ما عليه بغير حق ظلم يقتضى معاقبته . أما المعسر فانه لا يسـتحق العقوبة على مماطلته عند الجمهور اعتبارا لمفهوم المخالفة . لكن الحنفية فانهم وان وافقوا على عدم استحقاته للعقوبة الا أنهم استندوا فى ذلك الى دليـل آخر هو قول الله سبحانه (**فنظرة الى ميسرة**) ولم يأخذوا الحـكم عن طريق مفهوم المخالفة .

ومن ذلكأيضا ما روى ان الرسولعليه الصلاة والسلام قال « فى الغنم السائمة زكاة » فانه يدل بمنطوقهاتفاقا على وجوب الزكاة فى الغنم السائمة . أما الغنم المعلوفة فقد رأى الشافعى ومن وافقه انها لا زكاة فيها أخذا بمفهوم المخالفة ، وقال الحنفية أيضا انه لا زكاة فيها لكن لا أخذا من مفهوم المخـالفة وانما باعتبار الاباحة الأصلية . فان الأصل عدم الوجوب ، والحديث أوجب فى السائمة فقط فبقى ما عداها على حكم الأصل على ما بيناه فى موضعه .


الجمع بين
المصالح المادية
والحاجات
الروحية

المصالح المادية والحاجات الروحية

١ ــ فى كافة النظم الاقتصادية الوضعية ، فردية كانت او جماعية ، يقتصر النشاط الاقتصادى على تحقيق المصالح المادية ، سواء كانت هذه المصالح المادية هى تحقيق أكبر قدر من الربح كما هو الشأن فى الاقتصاد الراسمالى ، ام اشباع الحاجات العامة وتحقيق الرخاء المادي كما هو الشأن فى الاقتصاد الاشتراكى .

فالنشاط الاقتصادى ذو صبغة مادية بحتة ، وان اختلفت صورته باختلاف النظام المطبق راسماليا كان او اشتراكيا .

٢ ــ اما فى الاقتصاد الاسلامى ، فان هذا النشاط الاقتصادى وان كان ماديا ، الا انه مصبوغ بطابع دينى او روحى .

هذا الطابع الروحى قوامه الاحساس بالله تعالى وخشيته وابتغاء وجهه .

٣ ــ واساس ذلك ان الفرد المسلم يشعر بانه لا يتعامل مع أحد من الناس ، وانما هو يتعامل أساسا مع الله تعالى .

فاذا كانت الاقتصاديات الوضعية تقوم على اساس المادة ، وهى وحدها التى تصوغ علاقات الافراد بعضهم ببعض . فان الاساس فى الاقتصاد الاسلامى ، هو الله سبحانه وتعالى ، وان خشيته وابتغاء مرضاته والتزام تعاليمه هي التي تصوغ علاقات الافراد بعضهم ببعض .

ويترتب على ذلك عدة آثار ، ينفرد بها الاقتصاد الاسلامى نجملها فيما يلى :

اولا : الطابع الايمانى والروحى للنشاط الاقتصادى .

ثانيا : ازدواج الرقابة وشمولها .

ثالثا : تسامى هدف النشاط الاقتصادى .

ونعالج كلا منها فى فرع مستقل :

الفرع الأول
الطابع الايمانى والروحى للنشاط الاقتصادى

١ ــ مادية النظم الاقتصادية الوضعية واثرها :

فى ظل النظم الاقتصادية الوضعية ، لا يتجاوز النشاط الاقتصادى حدود المادة . وخطا هذه النظم انها تصورت الانسان مادة فحسب ، وان حقيقة

العالم تنحصر فى ماديته ، وأن الكسب المادى أو الكفاية المادية هى كل حياة البشر . ومن ثم كان هذا الفراغ الروحى أو ذاك الافلاس النفسي الذى تعانيه المجتمعات التى تدين بهذه النظم المادية .

ولا شك ان هذا الفراغ الروحيوذاك الافلاس النفسي ، تعانى منه بصورة صارخة المجتمعات آلراسمالية التى لا تستهدف الا تحقيق أكبر قدر من الربح ، مما أدى بالكثيرين الى الانحراف بمحاولة الحصول على المادة بأية وسيلة ، أو أن يتحولوا الى عبيد أو صرعى للمال ، والى كثير من المساوىء ، الأمر الذى دعا وما زال يدعو اشد انصار هذا النظام بالمطالبة بضرورة ادخال تعديلات جذرية عليه .

اما المجتمعات الماركسية ، فانها رغم ما تبذله من محاولات مستمرة لرفع الايمان بالسياسة الاشتراكية الى مرتبة العقيدة الدينية ، الا انها لم تحقق نجاحا، فقد بقيت هذه العقيدة مادية لا تشبع جوعا روحيا ولا تسد فراغ الحاجةالدينية . الأمر الذى أدى بهذه المجتمعات ، وعلى خلاف تفسيرها المادى للكون ان تخفف من حملتها ضد الدين وتسمح باقامة الشعائر الدينية ، بل ذهب بعضها كالمانيا الشرقية وبولندا والمجر الى أن ترصد لها اموالا فى ميزانيتها ، وفى ذلك كله عودة الى الدين واقرار بدوره فى ممارسة النشاط الاقتصادى .

٢ ــ كيف يكون النشاط الاقتصادي روحيا فى الاسلام ؟

فى ظل الاقتصاد الاسلامى ، فانه الى جانب ايمانه بالعامل المادى ، وان النشاط الاقتصادى لا يمكن الا أن يكون ماديا ، غير انه لا يغفل الجانب الروحى فى الكيان البشرى .

وكل ما يفعله الاسلام بهذا الخصوص ، هو ان يتجه المرء بنشاطه الاقتصادى الى الله تعالى أبتغاء مرضاته وخشيته . اذ يقول الله تعالى : **(ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات)** البقرة/١٤٨ ، ويقول **(ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم)** الحشر/١٩ . ومن ثم نرى أن السنة المطهرة تقرر أن « العمل عباده » ، وقوله عليه السلام : « ان الله عز وجل لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغى به وجهه »(١) . فالمناط هو النية ، اذ كما يقول الرسول : « انما الأعمال بالنيات » وقوله عليه السلام : « لا يقبل الله قولا الا بعمل ، ولا يقبل عملا الا بنية »(٢) . وهو ما عبر عنه الأصوليون بقولهم « الأمور بمقاصدها » .

ولا شك أن هذا التوجه بالنشاط الاقتصادى الى الله تعالى ، ليس مقصودا لذاته ، فالله تعالى لا ينفعه ولا يضيره أن يتجه اليه الناس بنشاطهم الاقتصادى أو لا يتجهون **(أن الله لغنى عن العالمين)** العنكبوت/٦ . وانما قيمة هذا التوجه انه حماية للفرد من نفسه **(أن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون)** النمل/٤ ، وهو صمام أمان لسلامة النشاط الاقتصادى بل الوسيلة الفعالة لصلاح الفرد والمجتمع **(ذلك خير للذين يريدون وجه الله . وأولئك هم المفلحون)** الروم/٣٨ . وصدق الله العظيم **(يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد)** فاطر / ١٥ ، وقوله تعالى **(لن ينال الله**

لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقــوى منكم) الحج / ٣٧ .

٣ ــ ارتباط ما هو مادى وما هو روحى فى الاسلام :

ومؤدى ما تقدم ، أن ثمة عاملا مميزا في الاقتصاد الاسلامي ، هو الاتجاه بالنشاط الاقتصادى الى الله سبحانه وتعالى ، مما يضفى على ذلك النشــاط الطابع الايماني والروحي وشعور الرضا والاطمئنان .

وهنا تبرز نقطة هامة كثيرا ما تدق على الكثيرين ومنهم المتخصصون ، وهي أن الاسلام لا يعرف الفصل بين ما هو مادى وما هو روحى ، ولا يفرق بين ما هو دنيوى وما هواخروى.فكل نشاط مادى أو دنيوى يباشره الانسان ، هو فى نظر الاسلام عمل روحى أو أخروى ، طالما كان مشروعا وكان يتجه به الى الله تعالى . فليس صحيحا أن هناكصراعا بين الدين والدنيا ، أو أن هناك مجالا لكل من النشاط الدنيوى والنشاط الاخروى ، فالاسلام لا يعترف بهذا الفصــل الميتافيزيقى بين الحاجات المادية أو الروحية ، وذلك التمييز المصطنع بينالأنشطة الدنيوية أو الأخروية الا على أساس مشروعية العمل وابتغاء وجه الله . ويحكى أن بعض الصحابة راى شابا قويا يسرع الى عمله ، فقال بعضهم « لو كان هذا فى سبيل الله » فردعليهم النبى : « لا تقولوا هذا ، فانه ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ،وانكان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان »(١) .

اكثر من ذلك ، فان علامة الايمان الصحيح فى الاسلام ، هو العمل النافع والانتاج المادى الذى يعود بالصالح على المجتمع . فالله سبحانه وتعالى يقول : **(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)** التوبة/١٠٥ ، ويقول : **(لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس)** النساء/١١٤ . ويردد عليه السلام أن السبيل الفعال للتقرب الى الله تعــالى والفوز برضاه هو بمحبة عباده ومساعدتهم ويقول : « خير النـــاس أنفعهم للناس » رواه أحمد عن جابر . وقد أراد أحد الصحابة الخلوة والاعتكاف لذكر الله تعالى فقال له الرسول : « لا تفعل ، فان مقام أحدكم فى سبيل الله ــ أى فى سبيل المجتمع ــ أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما »(٢) . فالايمان فى الاسلام ليس ايمانا مجردا ولكن ايمان مجدد مرتبط بالعمل والانتاج ، ومرتبط بالعدل وحسن التـــوزيع ، ومرتبط بحسن المعاملة ومد يد المعونة للغير ، أي مرده في النهاية نفع المجتمع . ومن ثم كــان تأكيد الرسول دائما بأن « رهبانية الاسلام هى الجهاد فى سبيل الله »(٣) ، اى فى سبيل المجتمع ، مجتمع الانتاج والخدمات . بل قوله عليه السلام ، وفى رواية اخرى « هل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم » رواه احمد والبخارى .

فالروحانية فى الاسلام هى العمل الصالح بابتغاء وجه الله . ورحم الله عمر بن الخطاب حين قال : « والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل ، فهم أولى بمحمدنا يوم القيامة » . ورحم الله جمال الدين الأفغانى حين كان يردد « أنا لا افهم معنى لقولهم الفناء فى الله ، وانما الفنـــاء يكون فى خلق الله ،

بتعليمهم وتنبيههم الى وسائل سعادتهم وبما فيه خيرهم » .

الفرع الثانى
ازدواج الرقابة وشمولها

١ ـ الرقابة فى النظم الاقتصادية الوضعية :

فى ظل النظم الاقتصادية الوضعية ، الرقابة فى مباشرة النشاط الاقتصادى هى اساسا رقابة خارجية مناطها القانون .
فالرقابة فيها محدودة وقاصرة .

٢ ـ الرقابة فى الاقتصاد الاسلامى :

وفى ظل الاقتصاد الاسلامى ، فانه الى جانب رقابة القانون أو الشريعة ، يحرص فى الوقت نفسه على اقامة رقابة أخرى ذاتية اساسها فكرة الايمان بالله وحساب اليوم الآخر .
ولا شك أن في ذلك ضمانة قوية لسلامة السلوك الاجتماعي وشرعية النشاط الاقتصادى ، لشعور الفرد المؤمن بأنه آذا استطاع أن يفلت من رقابة ومساءلة القانون ، فانه لن يستطيع أن يفلت من رقابة ومساءلة الله تعالى . ومن هنا كان اساس المسئولية فى الاسلام ان « أعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فهو يراك » ، وكان تاكيد الرسول عليه السلام بأنه « لا يزني الزاني حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » رواه بطوله احمد والشيخان وغيرهما : فقه السنة حـ ٩ الطبعة الاولى ص ٤٠ .

٣ ـ الوازع الدينى واثره :

ومؤدى ما تقدم ، أن ثمة عاملا مميزا فى الاقتصاد الاسلامى ، هو اعتداده بالوازع الدينى فى توجيه النشاط الاقتصادى ، باستشعار المسلم رقابة الله تعالى فى كل تصرف من تصرفاته ومسئوليته عنه امام الله . ومن ثم يحرص الاقتصاد الاسلامى على تغذية هذا الشعور الدينى وتعميقه ، بحيث يلتزم المسلم تعاليم الاسلام الاقتصادية التزاما تلقائيا مبعثه العقيدة والايمان ، اى عن رغبة وطواعية واختيار بغير حاجة الى سلطان لانفاذه .
وهذا بعكس ما هو سائد فى النظم الاقتصادية الوضعية ، حيث لا تهتم بل ينكر بعضها الوازع الدينى فى توجيه النشاط الاقتصادى . ويبدو اثر ذلك فى محاولة الكثيرين فى ظل هذه النظم التهرب من التزاماتهم أو الانحراف بنشاطهم الاقتصادى ، كلما غفلت عين الدولة او عجزت أجهزتها عن رقابتهم ومساءلتهم .

الفرع الثالث
تسامى هدف النشاط الاقتصادى

١ ـ في كافة النظم الاقتصادية الوضعية المصالح المادية مقصودة لذاتها :

فى كافة النظم الاقتصادية الوضعية ، المصالح المادية سواء كانت فى صورة تحقيق اكبر قدر من الربح أو تحقيق الكفاية والرخاء المادى ، مقصودة لذاتها .

وقد ادى ذلك الى هذا الصراع المادى المسعور الذى تعانى منه المجتمعات الراسمالية ، والى اتجاه التحكم والسيطرة الاقتصادية الذى هو طابع المجتمعات الاشتراكية المادية .

وانه رغم ما حققه الاقتصاد المادى السائد فى العالم ، راسماليا كان أو اشتراكيا من مكاسب أو رخاء مادى ، الا أن هذه المكاسب وذلك الرخاء اصبح هو في ذاته مهددا بالضياع بحكم هذا الصراع العنيف الدائر بين ذات هذه النظم الاقتصادية المادية ، طالما أن المادة فيها مقصودة لذاتها .

٢ ـ فى الاقتصاد الاسلامى ، المصالح المادية مقصودة ولكن ليس لذاتها :

أما فى الاقتصاد الاسلامى ، فان المصالح المادية وان كانت مستهدفة ومقصودة الا انها ليست مقصودة لذاتها ، وانما كوسيلة لتحقيق الفلاح والسعادة الانسانية . ذلك انه بحسب التصور الاسلامى ، الدنيا هى مزرعة الآخرة ، والانسان هو خليفة الله فى ارضه **(آنى جاعل فى الأرض خليفة)** سورة البقرة / ٣٠ .

ومن ثم فان المال فى الاسلام ، ليس غاية فى ذاته . والمسلم اذا كان مكلفا بطلب المال وتثميره وتنميته ، فهو لا يطلبه لذاته وانما باعتباره وسيلته الفعالة في رحلته الى الله تعالى ، وصدق الرسول عليه السلام : « نعم العون على تقوى الله المال » وصدق الله العظيم : **(ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة)** لقمان / ٣٠ ، وقوله : **(هو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم)** الأنعام/١٦٥ ، وقوله : **(والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون)** المؤمنون/٨ ، وقوله : **(ثم لتسألن يومئذ عن النعيم)** التكاثر/٨ .

ومؤدى ما تقدم ، أن ثمة عاملا مميزا فى الاقتصاد الاسلامى ، وهو أن المادة وان كانت فيه مطلوبة لقوله تعالى : **(فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله)** الجمعة/١٠ ، وقوله تعالى : **(ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش)** الأعراف / ١٠ ، وقول الرسول عليه السلام : « طلب كسب الحلال فريضة » وقوله : من فقه الرجل رفقه فى معيشته » . الا انها ليست مقصودة لذاتها لقوله تعالى : **(فأما من طغى . وآثر الحياة الدنيا . فان الجحيم هي المأوى .)** النازعات/٣٧ ـ ٣٩ ، وقوله : **(وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور)** آل

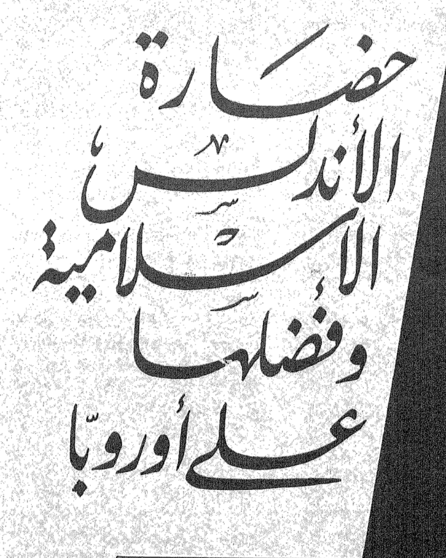
عمران/٨٥ ، وقول الرسول : « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم » رواه البخارى وابن ماجه . وانما المال فى الاسلام مطلوب لذكر الله تعالى والتحدث بفضله ونعمته : **(وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)** الجمعة /١٠ وقوله : **(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة)** القصص / ٧٧ ، وقول الرسول : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » رواه احمد ، وقوله : « لا بأس بالغنى لمن اتقى » رواه ابن ماجه .

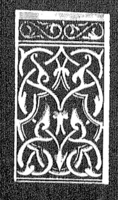
٣ ــ الهدف الأعلى من النشاط الاقتصادى :

كذلك فان من اهم ما يميز الاقتصاد الاسلامى أن الهدف من النشاط الاقتصادى هو تعمير الدنيا واحياؤها وان ينعم الجميع بخيراتها ، وليس هو التحكم أو السيطرة الاقتصادية أو استئثار فئة أو دول معينة بخيرات الدنيا ، كما هو الشأن فى النظم الاقتصادية الوضعية راسمالية كانت أو اشتراكية .
فيجعل الاسلام ، الانسان هو خليفة الله فى ارضه ، وانه مطالب دائما بأن يرتفع الى مستوى الخلافة بتعمير الدنيا واحيائها وتسخير طاقاتها لخدمته والأجيال القادمة لقوله تعالى : **(وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه)** الجاثية/١٣ . وقول الرسول : « ان الدنيا حلوة نضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعلمون » رواه مسلم والنسائي ، بل لقد ذهب الرسول فيتصوره حرص الاسلام على الانتاج والتعمير قوله : « اذا قامت الساعة وفى يد احدكم فسيلة ــ اى شتلة ــ فاستطاع الا تقوم حتى يغرسها ، فليغرسها فله بذلك أجر » رواه احمد .

— ● —

وخلاصة ما تقدم أن فى الاسلام سياسة اقتصادية ، لا تقتصر على المصالح المادية ولكنها تجمع بينها وبين الحاجات الروحية . ذلك ان هذه السياسة تقوم على اساس الاحساس بالله تعالى والمسئولية امامه ، الأمر الذى يميز الاقتصاد الاسلامى بطابع انسانى وروحى مصدره ابتغاء وجه الله فى مباشرة النشاط الاقتصادى . هذا فضلا عن انه يميزه بضمان وقوة تنفيذ تعاليمه الاقتصادية ، حيث أن الرقابة فيه مزدوجة ليست اساسها الشريعة فحسب وانما العقيدة ايضا ممثلة في فكرة الايمان بالله وحساب اليوم الآخر . هذا الى انضباط هدف النشاط الاقتصادى وسموه ، حيث أن المادة فيه ليست مطلوبة لذاتها ، وانما لفلاح الانسان وتعمير الدنيا وعموم خيراتها على الجميع .
ولا شك أن فى ذلك كله مساهمة فعالة ، فى القضاء على مختلف صور الاستغلال والانحراف ، وفى تهذيب نزعة السيطرة والصراع ، وفى حل مشكلة الاقتتال والحرب وفي النهاية ، أن يسود العالم أمله المنشود فى التعاون والمحبة والسلام .





للاستاذ : محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

« لم تبخل الأمة الاسلامية على الغرب بعلومها وفنونها وآدابها وألوان بحوثها حتى اوصلته الى ما انتهى اليه الآن من تقدم ومدنية ، وحضارة ورقي » .

« ان الحضارة العربية ظاهرة طبيعية ، ليس فيها شذوذ أو خروج من منطق التاريخ » .

ان الحضارة ليست نتاج جيل من الاجيال ، ولا ملك امة من الامم وانما هي وليدة الحياة من وقت أن عرفت الحياة ، وهي ربيبة الحاجة من اول يوم احس فيه الانسان وشعر بضرورة الحاجة .

لقد عاشت الوف من الامم التي مرت بتاريخ الارض تتوارث الحضارة امة بعد امة ، لتنميها وتغذي روافدها ومن ثم تسلمها الى من يليها لترعى نماءها ، وظل هذا شأنها حتى انتهت مسيرتها الى ما نشهده اليوم من تقدم ومدنية ورقي .

وعندما جاء الاسلام كان له دوره الفعال في تطوير الحضارة ، وكون امة استطاعت في يوم من الايام ان تضع يدها على كل مقدرات الحضارة في اكثر من نصف محيط الكرة الأرضية ، وعرفت كيف تستغل هذه الحضارة وتبني لمجدها صرحا منقطع النظير .

ولقد استطاعت الأمة الاسلامية بما بذل علماؤها وعباقرتها أن تمثل دور الاستاذية ، ولم تبخل على الغرب بعلومها وفنونها ، وآدابها والوان بحوثها ، حتى اوصلته الى ما انتهى اليه الآن من تقدم ومدنية وحضارة ورقي .

يقول قدري حافظ طوقان في كتابه « العلوم عند العرب » : ان الحضارة العربية ظاهرة طبيعية ، ليس فيها شذوذ او خروج من منطق التاريخ وقد قام اصحابها العرب بدورهم في تقدم الفكر وتطوره باقصى الحماسة والفهم .

واذا أردنا ان نعرف مدى تأثير مسلمي « الاندلس » في « أوروبا » ومقدار ما قدموه من علوم وفنون وآداب ومعارف ، انتقل الأوروبيون على ضوئها من ظلمات الجهالة ووحشية البداوة الى نور الحضارة ومدارج الرقي علينا أن نرجع الى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين لنجد مراكز الثقافة في « أوروبا » كانت عبارة عن أبراج يقطنها فئة من الناس يفخرون بأنهم أميون لا يعرفون القراءة والكتابة ، ولوجدنا أرباب العلم وقادة المعرفة كانوا من الرهبان المساكين ، الذين استبد الحمق والجهل بعقولهم ، واستولى عليهم الطيش والتعصب الاعمى الى درجة أنهم كانوا يقضون اغلب اوقاتهم في كشط كتب الأقدمين القيمة التي دونها العرب ووضعوا فيها خلاصة تفكيرهم وعصارة تجاربهم عدة قرون ، ليتكون عندهم بعد ذلك مجموعة من الصحائف والرقائق تفيدهم في نسخ كتب العبادة .

يقول جوستاف لوبون في كتابه « حضارة العرب » ما نصه : « ان همجية أوروبا ظلت واضحة مدة طويلة من غير أن تشعر بها ، ولم يبد عن بعض الأوروبيين بعض الميل الى العلم في القرن الحادي عشر والثاني عشر على الخصوص ، فلما ظهر أناس رأوا أن يرفعوا أكفان الجهل الثقيل عن عقولهم ولوا وجوههم شطر العرب الذين كانوا ائمة وحدهم » .

ثم يرد على الذين ينكرون كل الانكار ان لمسلمي « اسبانيا » الفضل في تحضر « أوروبا » وفيما وصلت اليه من العلم والمعرفة ، فيقول : « ولم تكن الحروب الصليبية سببا في ادخال العلوم الى اوروبا كما يتردد على السنة الكاتبين

وانما دخلت العلوم أوروبا من اسبانيا وصقلية وايطاليا ، فمنذ سنة ١١٣٠م بدأ مكتبفي طليطلةتحت رعاية رئيس الأساقفة ريمون ، ينقل أهم كتب العرب الى اللاتينية ، فكللت أعماله في هذه الترجمة بنجاح » .

واستمر نشاط حركة الترجمة في القرن الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر الميلادي ، ولم يقتصر الغربيون على ترجمة نتاج العلماء العرب الى اللغة اللاتينية ، مثل ابي بكر الرازي ، الذي كان مصدرا رئيسيا من مصادر الكيمياء التي تطورت آفاقها بتطور الأيام ، وله بحوث هامة في مواد الجراحة الرمدية والولادة ، وأمراض النساء ، وقد ترجمت مؤلفاته الى اللغة اللاتينية ونشرت بعد ذلك الى مختلف اللغات الاوروبية .

وهو يعد بحق رائد الطب النفسي وكان يقول : « على الطبيب ان يرجي مريضه الشفاء ، حتى ولو كان ميئوسا منه ، فان مزاج الجسم نابع من مزاج النفس » ، والرازي هذا قالت عنه سيجريد هونكة : « هو الذي جعل الطب علما عربيا قائما بذاته ، بالضبط مثلما جعل ابقراط الطب اليوناني قائما بذاته » .

والخوارزمي الذي عاش في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي ، وهو فلكي ورياضي وجغرافي ممتاز ، وصف بأنه أعظم علماء عصره ، فهو يعد من أقدم من ألف في حساب « الجبر والمقابلة » واذا كان قد سبقه في هذا بعض من العلماء ، الا ان ما ألفه في هذا الموضوع ذاع وراج واشتهر شهرة واسعة ، وقد ترجم مؤلفه الى اللغة اللاتينية ، وظل يدرس في معاهد « أوروبا » الى عهد طويل ، وبترجمته عرفت « أوروبا » ارقامنا الحسابية ، ولم يكن لـ « أوروبا » قبل ذلك قاعدة منظمة لشكل الأرقام أو مراتبها ، و «أوروبا» اليوم تستعمل تلك الأرقام التي ورثتها منا .

والحق الذي يجب أن يقال هو ان نظريات الخوارزمي الرياضية قد احدثت من التأثير ما لم تحدثه بحوث اي عالم آخر في العصور الوسطى وقد شهد لكفاءته اكثر من عالم بالرياضيات في « أوروبا » .

وابن سينا الذي كان طبيبا ، وفيلسوفا ، وفلكيا ، ورياضيا ، وانسيكلوبيديا ، وقد ترك تسعة وتسعين مؤلفا في مختلف فنون المعرفة اشهرها موسوعته الطبية المسماة بـ

اشهرها موسوعته الطبية المسماة
بـ « القانون » وتعتبر من أعظم المراجع الطبية في الشرق والغرب وقد خصص جزءا كبيرا من كتابه هذا لدراسة النباتات في اطار حديثه عن الأدوية المفردة .

ولم يكن ابن سينا من المؤمنين بما يدعيه أصحاب الكيمياء ـ على حد تعبيره ـ من امكان تحويل المعادن الخسيسة الى معادن نفيسة ، وكذلك لم يكن من المؤمنين بالتنجيم ، وأثر البروج والكواكب في حظوظ الناس ومستقبلهم .

وابن رشد الفيلسوف البارز ، الذي ضرب الرقم القياسي في حرية التفكير ، وترك أبعد الأثر في الفكر الأوروبي ، ويعتبر أكبر شارح لفلسفة « أرسطو » وأغلب الظن انه أعجب بفلسفة « أرسطو » اعجابا ملك عليه حواسه واستولى على

مشاعره ، الأمر الذي جعله يضع ثلاثة شروح على فلسفته ، ففسرها وشرح غامضها .

ويكفي ابن رشد جرأة أنه أطلق لتفكيره العنان ، فضرب مثلا فريدا في حرية الفكر ، ولم يهتم أو يبال بالتهم التي وجهت اليه ، ولكنه أعلن آراءه في صراحة تامة وجرأة نادرة ، حتى اعتبره الغربيون اكبر مثل لحرية الفكر ، ويظهر أثر فلسفة ابن رشد واضحا في خروج كثير من الغربيين على تعاليم الكنيسة ، وتمسكهم بمبدأ حرية الفكر ، وتحكيم العقل على أساس من المشاهدة والتجربة .

ولقد اهتم أطباء « الأندلس » اهتماما كبيرا بالجراحة ، وبرز من بينهم من المشاهير الزهراوي ، الذي يعد من اكبر الجراحين العرب ، وقد ألف كتبا قيمة وصف فيها آلات جراحية من اكتشافه ، ووصف الكثير من العمليات الجراحية وصفا دقيقا ، كالشق ، والكي ، والفصد ، وتفتيت الحصى ، ومن أشهر كتبه كتاب « التصريف لمن عجز عن التأليف » في ثلاثة أقسام هي : الطب ، والأقرباذين والكيمياء ، والجراحة ، وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة اللاتينية في القرن الخامس عشر الميلادي ، واهتم الأطباء الغربيون بقسمه الجراحي ، ولقد استطاع أن يبين فيه بدقة المقطع الذي ينبغي أن تجري فيه عملية نزع الحصى في المثانة .

لم يقتصر الغربيون على ترجمة هؤلاء الأعلام العرب واعمالهم ، بل نقلوا أيضا الى اللغة اللاتينية كتب « اليونان » التي كان المسلمون قد ترجموها الى اللغة العربية ، مثل كتب « جالينوس » و « أبقراط » و « أفلاطون » و « اقليدس »وغيرهم ممن كان لهم أثر بالغ في الثقافة ، حتى لقد زاد عدد ما ترجم من كتب العرب الى اللغة اللاتينية على الثلاثمائة كتاب .

ومن هنا يتضح لنا أن القرون الوسطى لم تعرف كتب العالم اليوناني القديمة الا من خلال ترجمتها الى اللغة العربية ، وبفضل هذه الترجمة استطاع العالم الأوروبي أن يقرأ كتب « اليونان » التي ضاع أصلها ، مثل كتاب « أبولونيس » في المخروطات وكتاب « جالينوس » في الأمراض السارية ، وكتاب « أرسطو » في الحجارة .

ويعلن « جوستاف لوبون » اعترافه بفضل العرب على «أوروبا» فيقول : « واذا كان هناك أمة نقر بأننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم ، فالعرب هم تلك الأمة ، لا رهبان العصور الوسطى الذين كانوا يجهلون حتى اسم اليونان ، فعلى العالم أن يعترف بجميل صنعهم في انقاذ تلك الكنوز الثمينة اعترافا أبديا .

وبينما كان العرب يصهرون أفكارهم في تنمية التراث الفكري ، والانتاج العقلي لتزدهر الحضارة ، ويضيفون في كل يوم تقدما جديدا في ميدان الحضارة ومضمار الرقي ، الذي يعود على البشرية بالخير والرفاهية ، كانت « أوروبا » غارقة في بحار من الظلمات ، لدرجة أن وصل بهم الايمان بالخرافات الى حد أن اعتبروا الساعة الدقاقة التي أهداها خليفة المسلمين العباسي هارون الرشيد الى « شارلمان »

امبراطور « فرنسا » ضربا من السحر والشعوذة وعملا من اعمال الجن والشياطين .

وعندما فكروا في التخلص مما هم فيه من التأخر ، لم يجدوا أمامهم سوى بلاد « الأندلس » لقربها منهم فأخذ طلاب العلم ومريدو المعرفة يفدون على معاهد العلم في « الأندلس » ينهلون منها معارفهم ويكونون ثقافاتهم ، ونذكر منهم « جربرت » الذي صار « بابا » في عام ٩٩٩ ميلادية ، وعرف باسم « البابا سلفستر الثاني » ، واستفاد من علوم العرب كثيرا ، ولما أراد أن ينشر بين مسيحي « أوروبا » ما تعلمه اتهموه بانه باع روحه للشيطان

ولقد تخرج على كتب العرب كثير من علماء « أوروبا » مثل « روجر بيكون » الذي كان مدينا لكتابات الحسن ابن الهيثم اشهر العلماء العرب في علم « الطبيعة » ، وهو الذي اثبت بالتجربة أن للضوء زمانا وسرعة ينتقل بها ، وهو الذي أبطل علم « المناظر » الذي وضعه اليونانيون ، وانشا « علم الضوء الحديث » بمعناه ومفهومه الحديث ، حتى أن اثر ابن الهيثم في القرن الحادي عشر الميلادي ، لا يقل عن اثر « نيوتن » في الميكانيكا في القرن السابع عشر الميلادي ، و « البرت الكبير » الذي كان مدينا بفلسفته لابن سينا ، و « سان توما » الذي كان مدينا لابن رشد .

وقد بذل الاسبانيون من غير المسلمين اقصى ما في استطاعتهم في محاربة الثقافة العربية بحكم عداوتهم للاسلام والمسلمين ، واستمروا في عنادهم وغرورهم الى أن انهزموا أمام تيار هذه الثقافة الجارف ، بعدما تبين لهم مافي طبيعة الثقافة العربية من مطاوعة للمنطق وتجاوب مع روح التقدم والرقي ، فآمنوا بها واندفعوا يغترفون من عذبها ما روي ظماهم المكبوت ، وكملوا ما كانوا يشعرون به من نقص ، فكان من نتيجة ذلك أن غزت الثقافة العربية معاقل الثقافة اللاتينية ففزع المتعصبون للقديم ، وانهزموا أمام تيار المدنية الجديد ، وفقدوا كل امل في التخلص من ثقافة العرب وطابعهم الجديد .

ويظهر هذا الفزع واضحا جليافيما كتبه كاهن « قرطبة » يشكو مر الشكوى من كونه لا يجد من ابناء جنسه من يعرف اللغة اللاتينية ليدرس بها الانجيل ، وسير الأنبياء والحواريين ، ويأسف اشد الأسف لأن اغلب الشبان المسيحيين من ذوي المواهب اصبحوا لا يعرفون سوى اللغة العربية التي يقرأون كتبها بنهم ويسعون للحصول عليها بشغف ، ويبذلون في سبيل اقتنائها وجمعها الأموال الطائلة ، ومن أجل ذلك اضطر القساوسة ورجال الكنيسة الى ترجمة الكتب الدينية الى اللغة العربية ، حتى لا يفوت هؤلاء الشبان الدين مثلما فاتتهم اللغة .

ومما ساعد على قيام هذه النهضة العظيمة في بلاد « الأندلس » تلك السياسةالتي اتبعها العربتجاه أهل اللغة في تعاملهم معهم ، وهي سياسة التسامح التي جعلت المستعمرين يقبلون على استعمال اللغة العربية، ويفضلونها على اللغة اللاتينية ، الأمر الذي ادى الى ايجاد مدرسة ضخمة من غير المسلمين يقوم أفرادها

بدور السفراء بين حضارة العرب وبين أهالي غرب « أوروبا » المتلهفين على تعرف علوم العرب ، المتشوقين الى أن ينهلوا من معارفهم

ان « أوروبا » عاشت عالة على نتاج القرائح العربية ، وظلت الكتب العربية المترجمة الى اللغة اللاتينية وخاصة الكتب العلمية تعد هي المصدر الوحيد الذي تقوم عليه الدراسة في جامعات « أوروبا » مدة تزيد عن خمسة قرون واستمرت « أوروبا » متأثرة ببعض العلوم العربية حتى القرن الثامن عشر ، وكانت كتب ابن سينا في الطب تدرس في جامعات « مونبلييه » بـ «فرنسا» بتوسع ، فقضت شهرته على شهرة « جالينوس » .

ولقد بلغ تأثير العرب في المواد التي كان يدرسها طلبة الجامعات في « أوروبا » درجة عظيمة من الاتساع بحيث شمل الكثير من المعارف التي وقف الأوروبيون عاجزين عن التقدم فيها ولو لخطوة واحدة واضحة ، ومثال ذلك علوم الفلسفة حيث ظل ابن رشد بفلسفته ومؤلفاته حجة بالغة في هذا الفن في جامعات « ايطاليا » و « فرنسا » حتى القرن الثامن عشر الميلادي .

ان مسلمي اسبانيا كانت لهم طرق واساليب ادت الى ضمان الحرية، وكفالة النظام ، وضبط الأمور ، ولم يكن المدار — في ذلك الوقت — في انظمة الحكم متوقفا على المناصب والوظائف بل كان المعول كله على شعور كل فرد ممن يشغل هذه المناصب والوظائف واحساسه في القيام بواجبه .

ولذلك أنتجت انظمة الحكم عند مسلمي « اسبانيا » استقرارا ورخاء عما جميع مرافق الدولة ، وبدا على الناس كما ظهر على الدولة انها محكومة حكما صالحا في مقوماته وفي روحه ، لأن الدولة اعطت لأفرادها من الاستقرار النفسي والرفاهية ما استطاعوا ان يبرزوا به في ميادين الفكر والانتاج العقلي ، في كافة العلوم والفنون والآداب ، حتى صار لها بهذا التراث مكان الزعامة الفكرية في « اوروبا » التي لم تكن تعلم عن الحياة العقلية والأدبية والفنية شيئا

لقد قدمت « اسبانيا » المسلمة للعالم الأوروبي كل مقومات الحضارة وسلمت كل المعارف من نتاج القرائح العربية والنضوج اليوناني والروماني الى تلاميذها في « اوروبا » فانتفعوا بهذه العلوم وجنوا ثمارها .

واخذ الأوروبيون ينسبون لانفسهم الفضل في العلم والمعرفة ، والسبق في ميدان الحضارة والتقدم ، الى أن كشف بعض المستشرقين المنصفين عن فضل المسلمين على « أوروبا » واعترفوا بما كان لهم من ماض مجيد وأياد بيضاء على الحضارة والرقي .

وعندما رجع المسلمون الى كتبهم القديمة وتراثهم المهجور وجدوه يحوي كل أصل من أصول الحضارة التي زعم الغربيون انها من صنعهم ، واكتشف العلماء المسلمون اخيرا ان القانون الفرنسي الذي بلغ الذروة من التقدير العالمي ، انما هو في الأصل مأخوذ من تعاليم الاسلام ومبادئه السمحة ، ومنقول برمته عن مذهب الامام مالك — رضي الله عنه — لانه كان هو المذهب السائد في بلاد « الأندلس » ، ولم تستطع القوة ولا الجبروت طمس آثاره من النفوس ، وظل أمر سكان «الأندلس» على الرغم من خروج المسلمين منها

يسير على ما هو عليه أيام أن كانت البلاد تحت سيطرة ونفوذ الاسلام والمسلمين من ناحية العادات والتقاليد، وقد نقل الفرنسيون هذه العادات والنظم والفوا منها قانونهم ، وعندما اراد العلماء أن يرجعوا الى الأصل الذي اخذ منه الفرنسيون ، وجدوا ان القانون الفرنسي مأخوذ من مذهب الامام مالك ــ رضي الله عنه ــ .

لقد قام العرب بدورهم خير قيام في تطوير الفكر العلمي ، وهيأوا الأسباب لظهور الفكر العلمي والنهضة العلمية الحديثة ، ولولا نتاج هذه القرائح العربية لتاخر سير المدنية عدة قرون ، يقول « فلوريان » في هذا الصدد منصفا العرب : « لقد عرف العرب في العصر الاسلامي بانكبابهم على الدرس وسعيهم في ترقية العلم والفن » .

ويقول « ويلز » مبينا كيف كان العرب ينشرون الحقائق العلمية . « كانت طريقة العربي أن ينشر الحقيقة بكل استقامة وبساطة ، وأن يجلوها بكل وضوح وتدقيق ، غير تارك منها شيئا في ظل الابهام ، فهذه الخاصة جاءتنا من العرب ، ولم تهبط على أهل العصر الحاضر من اللاتيني» .

ويعترف البارون « دي فو » بأن « الرومان » لم يحسنوا القيام على التراث الذي تركه اليونانيون ، وأن العرب كانوا على خلاف ذلك فقد حفظوه واتقنوه ، ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل تعدوه الى ترقية ما أخذوه وتطبيقه باذلين الجهد في تحسينه وانمائه حتى سلموه للعصور الحديثة .

ويقول « سارتون » : « لو لم ينقل الينا العرب كنوز الحكمة اليونانية ، لتوقف سير المدنية بضعة قرون فقد كانوا اعظم معلمين في العالم في القرون من الثامن الى الثاني عشر الميلادي » .

ويشير المستشرق الانجليزي « جيب» في كتابه « الاتجاهات الحديثة في الاسلام » الى الأسلوب التجريبي الذي انتهجه العلماء العرب وأشاعوه في العالم فيقول : « ان تركيز الفكر على الحوادث الفردية أتاح لعلماء المسلمين أن يمضوا بالطريقة التجريبية الى مدى ابعد بكثير ممن سبقهم من علماء اليونان والاسكندرية ، انهم الأصل في ادخال الطريقة التجريبية أو احيائها في اوروبا في العصر الوسيط » .

وختاما لهذا الموضوع نقول : ان الأوروبيين تناولوا مشعل العلم والحضارة من أيدي العرب ، فاستضاءوا به بعد ظلمة ، وبلغوا به بعد ذلك ما بلغوه من هذا الضياء العميم الذي انكشف به أحدث العلوم ولو لم يحمل العرب هذا المشعل شرقا وغربا لكان من اعسر الأمور أن يقدح الأوروبيون نوره من جديد





جاء الاسلام بمبدا الشورى اساسا للحكم ، وقاعدة للمجتمع ، فأمر الله رسوله محمدا عليه الصلاة والسلام ان يشاور اصحابه ، وان يأخذ رايهم فيما يعرض من الامور . ولم ينزل فيه وحى من الله فقال تعالى : **(وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين)** آل عمران/١٥٩ .

وقد جعل الله الشورى من لوازم الايمان ، حين عدها من الصفات اللاصقة بالمؤمنين المميزة لهم عن غيرهم فى قوله تعالى : **(والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون)** الشورى/٣٨ .

اما ما نزل فيه وحى من الله فهو خارج من نطاق الشورى . اذ لا مجال للراى فيه ، ويلتزم به المؤمنون ، وتقبل الشورى فقط فى حدود التنظيم لما نص عليه القرآن وبينته السنة ، وذلك يقتضي ان يكون اهل الشورى عليه وسلم يشاور اصحابه فى كل امر يعرض وليس فيه وحي من الله . ففى غزوة بدر ــ حين تغير الموقف عن الوضع الذى خرج الرسول واصحابه من اجله ، فبعد ان كان الامر ملاقاة تجارة قريش ، والاستيلاء عليها ــ وذلك امر سهل المنال ــ اصبح ملاقاة جيش وفير العدد كامل العدة يتطلب جهادا مريرا ، وتضحية غالية ــ اخذ الرسول يستشير اصحابه ، اعدادا لنفوسهم الى الوضع الجديد ، فقال : اشيروا علي ايها الناس ، فقام ابو بكر رضي الله عنه ، فقال واحسن ، ثم قام عمر رضي الله عنه فقال واحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله امض لما امرك الله . فنحن معك ، والله لا نقول لك ما قال بنو اسرائيل لموسى : اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ، ولكن : اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لقاتلنا معك من دونه حتى تبلغه . فدعا له الرسول بخير ، ثم قال : اشيروا علي ايها الناس ــ وهو يريد رأى الأنصار ــ لأنهم يكونون الغالبية الكبرى فى جيشه ، وبيعة العقبة الزمتهم الدفاع عن رسول الله فى مدينتهم ، ورسول الله يتخوف ان يكون رايهم الا ينصروه واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك ، فامض يا رسول الله لما اردت ، فنحن معك ، الا ممن دهمه فى المدينة ، فقام سعد بن معاذ ، وقال : والله لكانك تريدنا يا رسول الله . قال : اجل .

فقال : قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا ان ما جئت به هو الحق ، الحل والعقد .

وقد كان رسول الله صلى الله فوالذى بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى عدونا بنا غدا انا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك بنا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله . فسر رسول الله بقول سعد ثم قال : سيروا وابشروا فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكانى انظر الى مصارع القوم .

وهذا صحابى جليل هو الحباب بن المنذر رضي الله عنه يشير بتغيير الوضع العسكرى للمسلمين فى بدر بعد ان علم ان الرسول لم ينزلهم المنزل الذى انزلهم فيه بوحى من الله، فقد قال الحباب لرسول الله — وقد راى ان الرسول أنزل جيشه بادنى ماء من بدر — : ارايت هذا المنزل ؟ امنزلا انزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتاخر عنه ، ام هو الراى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الراى والحرب والمكيدة . قال : يا رسول الله ان هذا ليس بمنزل ، امض بالناس حتى تأتى ادنى ماء من القوم فنعسكر فيه ، ثم نغدر ما وراءه من الآبار ثم نبنى عليه حوضا فنملأه ماء ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله : لقد أشرت بالراى ، ثم امر بانفاذه ، فلم يجىء نصف الليل حتى تحولوا كما راى الحباب ، وامتلكوا مواقع الماء .

وكما أخذ الرسول براى الحباب فى هذا الامر اخذ براى « سعد بن معاذ » فى فكرة بناء عريش له فقد قال سعد للرسول : يا نبى الله ، الا نبنى لك عريشا تكون فيه . ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فان اعزنا الله تعالى وظهرنا على عدونا كان ذلك ما احببنا ، وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا ، فقد تخلف عنك اقوام يا نبى الله ما نحن اشد لك حبا منهم ولا أطوع لك منهم رغبة فى الجهاد ، ولو ظنوا انك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، انما ظنوا أنها العير يمنعك الله بهم ، ويناصحونك ويجاهدون معك . فقال عليه السلام : « اويقضي الله خيرا من ذلك » ثم بنى للرسول عريش فوق تل مشرف على ميدان المعركة .

ولما اسفرت المعركة عن نصر حاسم للمسلمين، وقتل سبعون وأسر سبعون من صناديد الشرك استشار الرسول أصحابه فيما يفعل بالأسرى فكانوا على رأيين ، راى ابداه ابو بكر رضي الله عنه قائلا : يا رسول الله هؤلاء اهلك وقومك قد أعطاك الله النصر والظفر عليهم ، ارى ان نستبقيهم وتأخذ الفداء منهم فيكون ما اخذناه قوة لنا على الكفار، وعسى ان يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا !

.. ورأى ابداه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائلا : يا رسول الله قد كذبوك وقاتلوك وأخرجوك فارى ان تمكننى من فلان — لقريب له — فأضرب عنقه ، وتمكن حمزة من أخيه العباس ، وعليا من أخيه عقيل ، وهكذا حتى يعلم الناس انه ليس فى قلوبنا مودة للمشركين ، ما ارى ان يكون لك اسرى فاضرب اعناقهم ،

هؤلاء صناديدهم وائمتهم وقادتهم .. فاختار رسول الله ما قال ابو بكر واخذ منهم الفداء ، وبعد ذلك نزل قول الله تعالى **(ما كان لنبى ان يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم . فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم)** الأنفال / ٦٧ ــ ٦٩ فكان ما نزل بيانا لما يجب أن يتخذ مع مجرمى الحرب وهو استئصال شأفتهم والقضاء عليهم تخليصا للحياة من شرهم لأنهم يسوقون اقوامهم الى العدوان ارضاء لمطامعهم الخاصة ، وانه ما كان يصح للمؤمنين النظر الى عرض الدنيا من الفداء متناسين الجرائم التى اقترفها هؤلاء الأسرى قبل الاستمكان منهم ، ولكن الله قد سبق كتابه بالعفو عن الخطأ وباحلال الغنائم فعفا عنهم وأباح لهم الانتفاع مما أخذوا .

وفى غزوة احد لما وصلت الأخبار لرسول الله باقتراب المشركين ونزولهم مقابل المدينة بذي الحليفة جمع أصحابه وأخبرهم الخبر وقال :

ــ مستشيرا لهم ــ ان رأيتم أن تقيموا بالمدينة ، وتدعوهم حيث نزلوا فان هم اقاموا اقاموا بشر مقام ، وان هم دخلوا علينا قاتلناهم ، فكان مع رأيه عليه السلام شيوخ المهاجرين والأنصار ، اما الشباب ــ وخصوصا من لم يشهد بدرا ــ فأشاروا عليه بالخروج لملاقاة المشركين ، وما زالوا بالرسول حتى تبع رأيهم لأنهم الأكثرون عددا ، والأقوون جلدا .

وفى غزوة الأحزاب ــ حين اشتد الحصار على المسلمين وزلزلوا زلزالا شديدا رأى عليه الصلاة والسلام أن يصنع شيئا يخفف به متاعبهم ، ويمزق جمع الأعداء فدخل فى مفاوضات مع اهل غطفان واتفقوا على أن يرجع الغطفانيون ولهم ثلث ثمار المدينة ، وجاء الرسول بورقة المعاهدة قبل توقيعها وعرض الأمر على المسلمين ، فسأل سعد بن معاذ رسول الله هل للوحى دخل فى ذلك .. ؟ فقال الرسول لا « انه أمر صنعته لكم رجوت من ورائه الخير » ، فأخذ « سعد » ورقة المعاهدة ومزقها قائلا : « انهم لم ينالوا منا ثمرة الا قرى ، افبعد أن أعزنا الله بك يأخذون ثلث ثمار المدينة عنوة . لا والله » فلم يغضب الرسول عليه السلام ، وسر بذلك المسلمون جميعا .

وهذه الحادثة تضع تقليدا دستوريا مجيدا للمسلمين ، هو ان الحاكم ليس له أن يقطع برأى فى أمر هام ، ولا ان يعقد معاهدة تلزم المسلمين بأى الزام دون مشورتهم ، واستطلاع رأيهم .

وقد ترك الاسلام للأمة شكل الشورى ومداها ، لأن الشكل متغير متطور ، للأمة الرأى فى تغييره وتطويره برأى ذوى العلم والخبرة والبصر بالأمور ، وقد أمر الاسلام ان يكون فى الأمة جماعة دائمة تدعو الى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وكل فرد من المسلمين يرى نفسه اهلا للقيام بذلك حق عليه أن يقوم به ، وهو مسئول مسئولية تامة عن صالح الأمة ، لا يخلصه من المسئولية الا القيام بها بصبر وامانة ، ولا يعفيه من الحساب عليها أى عذر مهما بلغ ، ومن هذه المسئولية يوجد التضامن الجماعى بين أفراد الأمة ،

وبين الأمة وحاكمها ، وتخمل الجماعة منتبعة فساد أمر الأمة مثل ما يحتمله الحاكم الذى جرى الفساد على يده ، بل ان مسئولية الجماعة اكبر واعظم .

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة عظيمة فى الاخذ بمبادىء الشورى ، وكان يدعو اليها ويرغب فى الاستمساك بها ، فلما قال على رضي الله عنه : يا رسول الله ، الأمر ينزل فينا لم ينزل فيه القرآن ولم تمض فيك منك سنة ... قال الرسول : « اجمعوا له العابدين من المؤمنين فاجعلوه شورى بينكم » .

ويشترط فيمن يستشار ان يكون عاقلا يمحص رأيه قبل ابدائه ، وان يكون عالما اهل اختصاص فى الأمر الذى يستشار فيه حتى يصيب بعلمه وجه المصلحة ، وان يكون على درجة من الاخلاق الفاضلة تعصمه من الغش، وتحمله على صدق النصيحة، فالمستشار مؤتمن ومن اشار على اخيه المسلم بأمر يعلم ان الرشد فى غيره فقد خانه .

والشورى تؤمن الامة من نزعات الاستبداد الفردى فى الحكام ، وتحفظ المجتمع من آراء الشذاذ الذين يجانبون فى آرائهم وجه المصلحة ، وتفتح المجال امام الآراء الصائبة والافكار المستنيرة ، يقول الأستاذ الكبير المرحوم عباس العقاد فى كتابه (الديمقراطية فى الاسلام ص ١٧٥ طبعة دار المعارف) : « ان ديمقراطية الاسلام التى انشاها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ديمقراطية خاصة لا لانها تضيق عن غيرها من الديمقراطيات ، ولكنها خاصة لأنها تخالف الديمقراطيات الاخرى فى نشأتها وغايتها ، وتتسع لأصول الحكم حتى تخرج بها من الصبغة المحلية الى الصبغة الانسانية ، بل الكونية فليس فى عقيدة المسلم نظام بين السموات والأرض لا يستقر على هذا الاساس :

اله رحمن رحيم ، يجرى الكون على سنن ، ويحاسب الخلق ببلاغ ونذير على رسالة انزلها لهدايتهم ، وما هو بظلام للعبيد .

ونبى ليس بالمسيطر ولا المتجبر ولكنه بشير نذير ، وليس له من الامر شيء ، والامر بينه وبين امته على المشاورة ومكارم الاخلاق .

وامام يطيع قبل ان يطاع ، ويتولى الحكم من أيدى المحكومين .

وأمة هي المرجع فى كل سلطان وكل سياسة ، وكما تكونوا يول عليكم ، فهى المسئولة عمن يسمونهم فى عصرنا الحاضر بالمسئولين ، ليس لأحد حق العسف والطغيان ، وليس لأحد حق الفتنة والعصيان ولهم جميعا حق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لا سيادة لنسب ولا لمال ولا لعلم ولا لانسان ولا لطائفة ، ولكنهم جميعا بنية واحدة تأخذ حياتها من كل عضو ، وتمد كل عضو بحياته . ديمقراطية خاصة قامت على حق الانسان وتبعته امام ربه وضميره » .

وبالشورى تتالف القلوب ، وتصان العقول من الخطأ ، وينفتح امامها ما اغلق فهمه وابهم امره ، وهى حصن من الندامة ، وامان من الملامة قال قتادة رضي الله عنه : « ما تشاور قوم يبتغون وجه الله الا هدوا لأرشد امرهم » وقال ابن تيمية : « ما ندم من استخار الخالق وشاور المخلوقين » .

مائدة القارئ

اعـــداد : فهمي الامام

أى العمل أحب الى الله ٠٠ ؟

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سألت النبى صلى الله عليه وسلم : اى العمل احب الى الله عز وجل ؟ قال : « الصلاة لوقتها » قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » قلت : ثم اى ؟ فقال : « الجهاد فى سبيل الله » .

رواه الشيخان

وصية ٠٠

عن أبى ذر الغفارى رضي الله عنه قال :

« اوصانى خليلى — رسول الله صلى الله عليه وسلم — باربع كلمات هن احب الي من الدنيا وما فيها : قال لى : يا ابا ذر : احكم السفينة فان البحر عميق ، واستكثر الزاد فان السفر طويل ، وخفف ظهرك فان العقبة كؤود ، واخلص العمل فان الناقد بصير » .

لا تقولى هكذا يا أم سلمة

لما علمت أم سلمة بوفاة ابن عمها الوليد بن الوليد قالت : « غريب توفى فى بلاد غربة » واستاذنت الرسول فى بكائه فاذن لها فقالت :

يا عين فابكى للوليد بن الوليد بن المغيرة

كان الوليد بن الوليد ابا الوليد فتى العشيرة

فقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تقولى هكذا يا ام سلمة » ولكن قولى :

« وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » .

قال تعالى : (قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) .

الزيادة لسبب

قال تعالى ـ فى سورة القصص عن موسى عليه السلام : (ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما) .
وقال تعالى ـ فى سورة يوسف عن يوسف عليه السلام : (ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما) فلم يذكر كلمة « واستوى » .
والسبب ـ كما قال المفسرون ـ انه تعالى اوحى الى يوسف في صباه فلم يذكر كلمة « واستوى » بخلاف موسى عليه السلام . ولذا اثبتها فى الآية الاولى ، وحذفها من الثانية .

أنا جنتى

قال شيخ الاسلام ابن تيمية حين جاء الأمر بسجنه فى قلعة دمشق : « انى كنت منتظرا ذلك ، وهذا فيه خير عظيم ، ما يصنع اعدائى بى ؟! ، أنا جنتى ، وبستانى فى صدرى ، اين رحت فهى معى لا تفارقنى ، أنا حبسى خلوة ، وقتلى شهادة ، واخراجي من بلدى سياحة » . ولما دخل القلعة متوجها الى السجن ، ورأى الأسوار تمثل قول الله تعالى : « فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب » .

نظرة صائبة

قال عمر رضي الله عنه :
الا لا يغرنكم صيام رجل ولا صلاته ، ولكن انظروا الى صدقه اذا حدث ، والى أمانته اذا ائتمن ، والى ورعه اذا استغنى .

الحجاب ..

ما كان الحجاب مضروبا على المراة نفسها ، بل على حدود من الأخلاق أن تجاوز مقدارها ، أو يخالطها السوء أو يتدسس اليها ، فكل ما ادى الى هذه الغاية فهو حجاب ، وليس يؤدى اليها شيء الا ان تكون المراة امراة فى دائرة بيتها ، ثم انسانا فقط فيما وراء هذه الدائرة الى آخر حدود المعانى .

من كتاب وحى القلم



للاستاذ عزت محمد ابراهيم

لعل الذين عنيتهم فى مقالى (هكذا يتساءلون) لا يسوؤهم أن أتحدث فى هذا المقال عن أمجاد ماضينا التليد ، وما أحسب أننا سنكف عن ذكر هذا الماضى يوما ، ما دام لنا كتاب يتلى ، وعقيدة نحرص عليها ، وقبلة واحدة نولى شطرها وجوهنا . بل ما بقيت فينا أنفاس تتردد ، وعروق تنبض ، وما دامت فينا عقول تفكر ، وعواطف تجيش .

وما نذكر أمجاد ماضينا تباكيا عليها ، ولا تحسرا على فوات زمانها ، ولكن نذكرها تأسيا واقتداء، وشحذا للهمة وطلبا للاسوة الحسنة .

وما أكثر ما كان لنا من أمجاد فى ساحات الوغى ، وبين صليل السيوف وقعقعة السلاح ، ولقد قوض أجدادنا دعائم دول، وثلو عروشا ، وتقهقرت أمام زحوفهم جيوش امبراطوريات حكمت مئات السنين ، وظنت أنها باقية لا يزعزعها مزعزع ، وزعزعها

● ما نذكر أمجاد ماضـــينا تباكيا عليها ، ولا تحسرا على فوات زمانها ، ولكن نذكرها تأســيا واقتداء ، وشحذا للهمة ، وطلبا للاسوة الحسنة ..

● ان الرجل الواحــد يعمر قلبــه الايمــان ، وهو أعزل من كل سلاح ، لهو خير وبركة من ثميله المزود بكل سلال ..

● هذا ماضينا صــــفحة نقية فى البذل والتضحية ، فليكن لنا فيه أسوة حسنة ، وليكن كل مقاتل منا اليوم هو ابن زياد وابن نصير وابن سحيم والغافقى والسلومى .. فاما الموت واما النصر ، والجنة تحت ظلال السيوف ، والموت فى شرف خير من الحياة فى ذلة وخنوع ..

وقضى عليها ، وشتت شملها أجداد لنا ، خرجوا من قلب الصحراء ، ليسوا بأصحاب العدد الوفير ، وقد كانوا يتصدون لجيوش تفوقهم عددا ، وليسوا بذوى العدة الكثيرة ، وقد كانوا لعدوهم من العدة ما يفوق كل ما كان لهم من عدة وعتـــاد ، ولم يعرفوا للحرب خططا غير أبســطها وأيسرها ، وغير ما يستمدونه من وحى البديهة ، وفطرة الذكاء ، وقد كان لعدوهم فى الحرب خبرة ، ولهم فى فنونها قواعد وأصول .

كان أجدادنا بسذاجتهم وفطرتهم، ووحى بديهتهم فى كفـــة ، وكان أعداؤهم بخبرتهم وفنـــونهم وتيههم وعجبهم وخيلائهم بما يملكون فى كفة أخرى .

أمن العجب إذن أن تشيل كفتهم وترجح كفتنا .. ؟

نجيب بالاثبات والنفى معا .

ونجيب اثباتا اذا نظرنا الى الامور النظرة المجردة التى ينظر بها جماعة الدارسين من أجانب ومستشرقين ، يستغربون ويستعجبون .

ونجيب نفيا اذا نظرنا الى الامور نظرة العقيدة والايمــان ، فنقول : لا وجه للغــرابة ، ولا محــل للاستغراب ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، ولأن رجلا واحد يملأ قلبه الايمــان ، ويعمر فؤاده اليقين ، هو بمقام العشرات ممن تعدون وتحصون من بنى الخلق، ولأن الرجل الواحــد يعمر قلبــه الايمان ، وهو أعزل من كل سلاح ،

لهو خير وبركة من مثيله المزود بكل سلاح .

لنذكر من أمجادنا جيوش المسلمين تعبر البحر ، وتخترق جبال البرانس، وتقرع أبواب أوروبا ، ولنصـــغ السـمع الى صيحة طارق بن زياد تتردد فى جنبات التاريخ حتى تبلغ كل مسمع : « البحر أمامكم والعــدو خلفـــــكم وليس لكم الا النصر او الموت » . وقد كان النصر لهم حليفا ، ومن مات منهــــم فقد فاز باحدى الحسنيين .

ان قصة الفتح الاسلامى للأندلس لهى حقا قصة من قصص البطــولة النادرة ، والجهاد الحق ، والاستماتة فى سبيل الله التى لا تعرف تهاونا ولا تخاذلا ، ولا رضا بغير النصر أو الاستشهاد .

وقد بدات بداية هذا الفتح بكتاب من (موسى بن نصير) الى الخليفة الاموى (الوليد بن عبد الملك) ، يستأذنه فى فتح الاندلس ، فجاءه الرد أمرا باختبار حال البلاد بادىء ذى بدء ، والا يغامر بجند المسلمين فى حرب غير مأمونة العــواقب ، وكان ذلك ديدن خلفاء المسلمين ، لا يلقون بالأجنـــــاد فى حرب ، او يدفعون بهم الى قتال ، الا اذا عرفوا مبلغ مقدرتهم على الصمود فيها ، فاذا أقدموا عليهـــا ، أقدموا اقدام الواثق المطمئن ، وما ردهم عنها راد، وما حال بينهم وبين التقدم فيها حائل، فاما النصر واما الموت ، ولا شىء بينهما .

وقد انتدب موسى بن نصير سرية استكشافية تعجم عدد قوة الفرنجة ، وتختبر مدى تماسكها وصمودها فى الحرب والقتال ، وأسند قيادة هذه القوة الى (طريف بن ملوك) ، ولم تكن تزيد عن أربعمائة راجل ، ومائة فارس ، تحملهم فى البحــــر أربع سفن .

وبهذه القوة الصـــغيرة ، وبهذا العدد الضئيل غنم (طريف) مغانم كثيرة ، وعاد الى ابن نصير ينبئه الخبر اليقين الذى يســـــتطيع بعده المسلمون ان يمضوا فى الفتح — على بركة الله — غير هيابين ولا وجلين .

وبهذه القوة الصــــغيرة ، وبهذا العدد الضـــئيل ، اقتحم (طريف) جزيرة (بالوماس) التى تحمل اليوم اسمه (جزيرة طريف) ، كما يحمل جبل طارق اسم بطل فتح الاندلس طارق بن زياد . ولم يبق امام ابن نصير الا ان يجهز جيشا يمضى الى شبه جزيرة ايبيريا ، منطلقــــا فى طريقه كالسهم ، لا يعرف تباطؤا ولا انحرافا عن غايته .

وكان قائد هذا الجيش هو ابن زياد ، ولا نقول انه كان جيشـــــا عرموما أوله فى المغرب وآخره على مشارف شبه جزيرة ايبيريا ، وانما نقـــول ما أجمــع المؤرخون على تعداده : سبعة آلاف مقاتل لا غير ، ولكنهم السبعة الآلاف الذين يقومون بمئـــــات الالوف فى ميادين الوغى وساحات القتال ، هم اسد الشرى، وهم ليوث المعـــارك ، وهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وهم مؤمنون اشترى اللهانفسهم واموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون .

ولم يكن يعرف قبل ذلك عن (طارق ابن زياد) خبرة فى حرب أو قتال ، ولم تؤثر عنه أمجاد فى ســـاحات الوغى وميادين النضال ، وانما هى الشدائد تخلق الرجال ، وانمــــا هى المحن والبلايا تصـــــقل مواهبهم ،

وتظهر المخبوء من كنوز قوتهم المدخرة التى تنتظر اللحظات الحاسمة ، وانما هو الايمان يفعل فى النفوس فعل الخوارق والاعاجيب .

واحتمى المسلمون فى جبل طارق يتحينون الفرصة المواتية لبدء القتال، ولم ينتظر (لذريق) ملك الفرنجة حتى يباغت بالحرب ، فهب لقتال المسلمين، وقاد جيشه قائده (بنشو) ، والتقى بجنود الموت عندهم أحب من الحياة ، وهو فخر عندهم يتناقله الابناء عن الآباء ، ويفتخرون به فى مواضع الفخر والاعتزاز . وايد الله المسلمين بنصر من عنده فأفنوا جيش الفرنجة عن آخرهم الا واحدا هو الذى استطاع الفرار بنفسه والنجاة من موت محقق ، ذلك هو (بلباسن) ، فليس بغريب اليوم أن نسمع أن قواتنا قد قضت على فرقة للعدو عن آخرها ، او ان فردا واحدا قد قضى على عدد من الدبابات ليس بالقليل ، فالذين يقضون على فرق العدو هم احفاد اولئك الامجاد الميامين الذين قضوا على جيش (لذريق) ، وهؤلاء الاشبال من أولئك الضراغم .

والتقى المسلمون الاشاوس مرة اخرى بالفرنجة فى موقعة (البرباط) وقدر المؤرخون عددهم بمائة الف جندى ، ومهما اختلفوا فى تقدير العدد الصحيح ، فلم يختلفوا فى انه كان اضعافا مضاعفة لعدد جيش المسلمين .

وطلب طارق المدد من ابن نصير فأمده بخمسة آلاف يقودهم (طريف ابن ملوك) واراد (لذريق) أن يختبر مدى قوة المسلمين ، وهو يعرف عنهم القلة فى عددهم التى لا تكاد أن تكون شيئا بجانب جيشه اللجب ، فأرسل اليهم طليعة من الفرسان قابلها المسلمون بنفوس متعطشة للقتال ، وقلوب لا يعرف الخور أو الضعف اليها سبيلا ، وانقضوا على طليعة الفرنجة انقضاض الصاعقة ، فولت أمامهم الادبار ، ملتمسة لنفسها النجاة .

والتقى الجمعان فى شهر رمضان — بورك من شهر — من السنة الثانية بعد التسعين للهجرة ، وحمى بينهما وطيس القتال ، فدام يومين متتاليين ، ولم يلبث فرسان (لذريق) الذين فروا فى بدء المعركة أن عادوا الى الفرار امام وطأة هجوم المسلمين ، وحملهم الشديد عليهم ، وساد الاضطراب فى صفوف الفرنجة ، وغنم المسلمون فى يومهم ذاك مغانم كثيرة ، أكثرها من خيل الفرنجة ، حتى لم يبق من المسلمين راجل الا وقد امتطى ظهر فرس يختال بها اختيال النصر والفوز المبين ، وفاض سيل المسلمين على بلاد الاندلس فملأوا كل ناحية من نواحيها ، واحتلوا كل ركن من اركانها ، ولم يبق أمام أعداء دين الله غير الجبال يلوذون بقممها خوف البطش والانتقام ، وغير الحصون والصياصى ، يتحصنون بها تحينا لفرصة اخرى ، وتهيئا لهجوم جديد .

وعبر طارق (طريق هانيبال) المعروف منذ عهد الرومان ، لم يرزأ فى جيشه ولا فى دماء المسلمين ، فقد كانت الطريق خالية قد فر منها حماتها فرار المذعورين الوجلين المرتعدة فرائصهم من خوف ومن فزع ، تاركين للمسلمين طليطلة يحتلونها بغير كبير عناء .

وفى طليطلة مغانم كثيرة ، وكنوز

لا حصر لها ، وذهب وجواهر ومائدة من زبرجد خالص أسهب المؤرخون في وصفها ، وما كان كل ذلك بالذى يشغل طارقا وجنده عن غايته وهدفه ، وهما أغلى عنده من كل ذهب الدنيا وزبرجدها جميعه ، ولا نقولها قولا على عواهنه ، ولا يدفعنا الى ذلك حماسة تتأجج فى نفوسنا فحسب ، وانما نقول قولا له سند من تاريخ لا يكذب ولا يفترى ، ولا حاجة به أمام اجماع القول الى كذب أو افتراء : جاء فى (نفح الطيب للمقرى) أن موسى بن نصير قال لطارق :

ــ يا طارق ، لن يجازيك الوليد ابن عبد الملك على بلائك بأكثر من أن يبيحك الاندلس فاستبحه هنيئا مريئا .

ورد عليه طارق قائلا :

ــ والله لا ارجع عن قصدى هذا ما لم انته الى البحر المحيط . ومضي طارق الى قصده متجها الى قرطبة عاصمة البلاد ، وهى اذ ذاك شديدة التحصين ، منيعة الحامية ، فتربص بها المسلمون يتحينون فرصة للانقضاض عليها ، وواتتهم الفرصة السانحة فى ثغرات من حصن عرفوها فاندفعوا منها كأنهم السيل الغاضب المزمجر يحطم كل ما أمامه من سدود وجسور وعقبات ، وما لبثت قرطبة أن سقطت فى ايديهم ، وأضحت الحامية كلها ما بين فار وقتيل ، وولى قائدها الادبار حتى وقع فى يد (مغيث الرومى) مولى (الوليد بن عبد الملك) ، واحد قادة المسلمين فى الاندلس ، فلم يفلت من حد سيفه .

ويلحق ابن نصير بابن زياد ، يشد من أزره ، ويعاونه فى القضاء المبرم على القوط ومن يؤازرهم ، وينزل (موسى بن نصير) عند موضع قريب من جبل طارق فيسمى باسمه (مرسى موسى) ، ويغذ السير الى حيث يستطيع حماية خطوط مواصلات المسلمين حتى قرطبة استعدادا للزحف الى اشبيليه التى دام حصارها شهورا ، سقطت بعدها كما سقط غيرها من مدن وحصون وقلاع وحاميات .

ويسير موسى محاذيا لنهر صغير يحمل حتى اليوم اسمه (نهر موسى ــ فالموزا) وسط طريق رومانى قديم ، وحسب (لذريق) أن قد سنحت له سانحة للانقضاض على المسلمين وهم بعيدون عن امدادات تأتيهم فى وقت قريب ، فانقض بجيشه عليهم ، وثبت لهم المسلمون ثبات الجبال الرواسى حتى افنوهم عن آخرهم ومعهم (لذريق) ملكهم وقد قتله (مروان بن موسى بن نصير) .

وكانت هذه آخر معركة حاسمة فى حرب المسلمين فى الاندلس ، لم يبق بعدها غير القضاء على الفلول والبقايا الهاربة فى النواحى والارجاء ، فتتبعوها فى الشمال ، والشمال الغربى حتى لم يبق فيها نفس يتردد .

ولقد بقى المسلمون فى الاندلس ما بقوا جميعا ، وخرجوا منها عندما تفرقوا وتنازعوا واستعانوا بعدوهم على بعضهم البعض ، وهذه حقيقة ينبغى أن نعيها جيدا ، وأن نضعها نصب اعيننا فى كل حين .

وقد قلت فى سياق هذا الكلام ان الفطرة ووحى البديهة هما كل ما كان لقادة المسلمين فى كرهم وفرهم ، وما كانوا يرسمونه من خطط للحرب

والقتال .

ولكنها الفطرة والبداهة التي يقول عنها المؤرخون :

« لو أن مجلسا للحرب من كبار العسكريين اجتمع ليضع خطة لفتح البلاد ، لما وفق الى خير من ذلك » .

ولم تفتر المعارك في الاندلس ، ولم يخمد لها لهيب ، وبعد ذلك بنيف وعشرين عاما تقع فيها معركة هي أيضا من دواعي فخرنا في مواطن الفخر والاعتزاز ، وحسبك من اسمها (بلاط الشهداء) دلالة عليها .

واذا كان (طارق بن زياد) هو بطل فتح الاندلس ، فان عبد الرحمن الغافقي أثيرها أوائل القرن الثاني الهجري هو بطل صنديد في بلاط الشهداء الابرار ، وشهيد من شهدائها .

وكان المسلمون قد وصلوا في زحفهم قريبا من نهر السين زمن (عنبسة بن سحيم) ، وكان على خلفة الغافقي أن يمضي مكملا ما حقق ، قارعا أبواب أوروبا قرعا شديدا ، مؤملا أن يحقق الله فتح بلاد الغال على يديه ، فاخترق بجيوشه جبال البرت في شمال أوروبا ، وهاجم مدينة (آرل) واستولى عليها متوجها بعدها الى (دوقية اقطانية) الممتدة من جبال البرتات الى حدود اللوار ، والتقى بدوقها وجيوشه في (بوردو) ، فهزمه شر هزيمة ، وشتت شمل جموعه حتى اضطر الى التقهقر تاركا للمسلمين (بردال) عاصمة بلاده ، وتقدم المسلمون الى مدينة (تور) ثانية مدن الدوقية ، وفيها وقعت واقعة (بلاط الشهداء) بين المسلمين و (دوق اقطانية) يؤازره (شارل مارتل) ، وقد جمع الفرنجة في تلك المعركة كل ما استطاعوا من جهد وعتاد ، وانضم اليهم جنود من الالمان والسويق والسكسون ، وأرادوا بكل تلك الحشود أن يقتحموا خطوط المسلمين ، فكانوا يردون على أعقابهم المرة تلو الاخرى .

واذا كان المسلمون لم يحققوا ما ارادوا في تلك المعركة على يد (الغافقي) ، فان (عقبة بن الحجاج السلومي) قد نهج نهجه في حروب بلاد الغال ، متجها شمالا حتى استولى على (فالانس) وحتى فتح اقليم (بورجونيا) وامتدت جيوش المسلمين حتى استولت على (بيدمونت) شمالي ايطاليا .

وما يهمنا من (بلاط الشهداء) هو هذا البذل والفداء الذي يقل له النظير ، وهذا الاصرار والصمود الذي تهون امامه كل تضحية .

وهذا ماضينا صفحة نقية في البذل والتضحية والحرب والقتال ، فليكن لنا فيه أسوة حسنة ، وليكن كل مقاتل منا اليوم هو ابن زياد وابن نصير وابن سحيم والغافقي والسلومي ، فاما الموت واما النصر ، ومرحبا بكل بلاط للشهداء ، والجنة تحت ظلال السيوف ، والموت في شرف خير من الحياة في ذلة وخنوع .





التجـــارة فى الحج ..

للشيخ عطية صقر

السؤال :

ما حكم الشرع فيمن ينتهزون فرصة الترخيص بالحج للقيام بصـــــفقات تجارية ، هل يجزى ذلك عن الفريضة .. وهل يثاب عليها .. ؟

الجواب :

ان مثل هذا السؤال وجه الى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، **فقد روى** ابو داود ان ابا امامة التيمى قال له : انى رجل اكرى في **هذا الوجه** ، اى أؤجر الرواحل للركوب فى الحج ، وان اناسا يقولون لى : أنه ليس لك حج ، فقال ابن عمر : اليس تحرم وتلبى وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمى الجمار ؟ قال : قلت : بلى . قال : فان لك حجا . جاء رجل الى النبى صلى الله عليـــه وسلم فسأله عن مثل ما سألتنى ، فسكت عنه حتى نزلت هذه الآية : **(ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم)** فأرسل اليه وقرا عليه هذه الآية ، وقال : « لك حج » .

وقد وجه مثل هذا السؤال ايضا الى ابن عباس رضي الله عنهما ، فقـــال « اولئك لهم نصيب مما كسبوا » رواه البيهقى والدارقطنى .

وقد روى البخارى ومسلم وغيرهما ان ابن عباس قال : ان الناس فى اول الحج كانوا يتبايعون بمنى وعرفه وسوق ذى المجاز ومواسم الحج ، فخافوا البيع وهم حرم ، فأنزل الله تعالى : **(ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلاً من ربكم)** فى مواسم الحج .

وهذه التجارة التى نزلت من اجلها الآية الكريمة تدخل تحت عموم قوله تعالى : **(واذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم)** فالمنافع اعم من ان تكون دينية او دنيوية ، على أن الرواج التجارى في المنطقة المقدسة هو استجابة لدعوة ابراهيم **(فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) .**

وبهذا يكون حج التجار مسقطا للفريضة عنهم ، وما دام الاسلام رخص فى التجارة فلا ينبغى ان نحكم بعدم استحقاق الأجر من الله على الحج فرحمتـــه واسعة ، والرجاء فيه كبير . وان كان الاولى ان يكون القصد الأول من الحج هو أداء النسك .

الحج عن الغير ..

السؤال :

توجد ظاهرة واضحة في موسم الحج ، وهى باب من ابواب التكسب وذلك بالحج عن الغير ، فما حكم هذا الحج وهل يسقط الفريضة عمن حج عنه .. ؟

الجواب :

اخرج الترمذى بسند حسن صحيح عن الفضل بن عباس رضي الله عنهما ان امراة من خثعم قالت : يا رسول الله ، ان فريضة الله على عباده فى الحج ادركت ابى شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة ، افأحج عنه .. ؟ قال « نعم » . وذلك فى حجة الوداع . كما روى البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان امراة من جهينة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : ان امى نذرت أن تحج ولم تحج حتى ماتت ، افأحج عنها .. ؟ قال : « نعم حجي عنها ، ارايت لوكان على امك دين اكنت قاضيته ؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء » .

من هذين النصين ومن غيرهما قال العلماء : الحج عن الغير جائز ، بل يجب على من عجز عن الحج وكان مستطيعا ؛ كعارض مرض و شيخوخة أن ينيب غيره فى الحج عنه ، مثله مثل الميت الذى مات مستطيعا ولم يحج .

والحج عن الميت المستطيع واجب سواء اوصى ام لم يوص . غير أن مالكا اشترط أن يوصى ، وتخرج نفقات الحج عنه من الثلث . فاذا لم يوص فلا يحج عنه ، وحجته فى ذلك ان الحج عبادة غلب فيها جانب البدنية فلا تقبل النيابة ، والجمهور على القول الأول الذي لا يشترط الوصية . لكن يشترط أن يكون النائب فى الحج قد ادى الفريضة عن نفسه ، والا وقع الحج عن النائب فقط . ودليله ما رواه أبو داود وابن ماجه والبيهقى وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الرسول صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : لبيك عن شبرمة . فقال « احججت عن نفسك » ؟ قال : لا . قال : « فحج عن نفسك ، ثم حج عن شبرمة » .

هذا ، والذى يقوم بالحج عن الغير ، لا يشترط أن يكون من هؤلاء الذين خصصوا انفسهم لمثل هذا العمل ، بل يجوز ان يقوم به اى انسان آخر ، سواء تقاضى على ذلك اجرا ام لميتقاض . وغير صحيح ما يقوله بعض الناس : ان الوكيل في الحج يجب أن يتفق عليه من حين خروجه الى أن ينتهى من اعمال الحج . فان المهم هو القيام بالاعمال على أى وجه كان .



السؤال :

ما الحكم لو ان امراة فاجاها الحيض بعد انتهاء اعمال الحج وهى مرتبطة بقافلة سترحل قبل طهرها ، هل عليها طواف الوداع .. ؟

الجواب :

روى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : رخص للحائض أن تنفر اذا حاضت . وفى رواية قال : أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت ، الا انه خفف عن المراة الحائض . على ان هذا الطواف للشخص العادى سنة عند الامام مالك ولا يجب بتركه شيء .

وعلى هذا يجوز للحائض ان ترحل مع الرفقة دون ان تؤدى طواف الوداع ، ولا يلزمها شيء من ذبح او غيره .



السؤال :

هل صحيح أن الحاج ممنوع من الاستحمام والتطيب حتى لو تغيرت رائحته بالعرق ونحوه ، مع ان الاسلام دين النظافة .. ؟

الجواب :

روى البزار بسند صحيح ان عمر رضي الله عنه وجد ريح طيب من معاوية وهو محرم ، فقال له : ارجع فاغسله ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الحاج الشعث التفل » والشعث من عليه اثر التراب من السفر ، والتفل البعيد العهد بالماء . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « اما الطيب الذى بك فاغسله عنك ثلاث مرات » وقال فيمن مات وهو محرم « لا تخمروا راسه ولا تمسوه طيبا ، فانه يبعث يوم القيامة ملبيا » .

نعم الاسلام دين النظافة ، سواء اكانت تخلية أم تحلية ، تخلية بالغسل وازالة الزوائد التى تتجمع معها الأوساخ ، وتحلية بالطيب وسائر الروائح

الزكية ونحوها .

ولكن الحاج فى اثناء احرامه ، وقد تكون مدته قصيرة جدا ، ممنوع من التحلية بالروائح الطيبة لأنها من باب الكماليات ، والحج يقوم على التجرد منها والوقوف اما مالله بأقل ما يستر العورة . تشبها بما سيكون الناس عليه يوم يحشرون الى ربهم « ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم » . وقد جاء فى الأحاديث أن الله يباهى الملائكة بالواقفين على عرفة ويقول « انظروا الى عبادى أتونى شعثا غبرا ضاحين من كل فج عميق .. » .

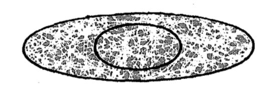
اما التخلية عن الأمور التى تضر الجسم وتضر بالرفاق والمجتمع الكبير فان الاسلام اباح الاغتسال والتطهر اثناء الاحرام ، ومنع العطور التى هى زائدة عن النظافة العادية . وقد ورد ان ابن عباس رضي الله عنهما دخل حمام الجحفة وهو محرم ، فقيل له : اتدخل الحمام وانت محرم .. ؟ فقال : ان الله ما يعبأ بأوساخنا شيئا . واخرج الجماعة الا الترمذى أن ابا ايوب الأنصارى كان يغتسل بصب الماء عليه والتدليك ، وقال : هكذا رايته صلى الله عليه وسلم يفعل .

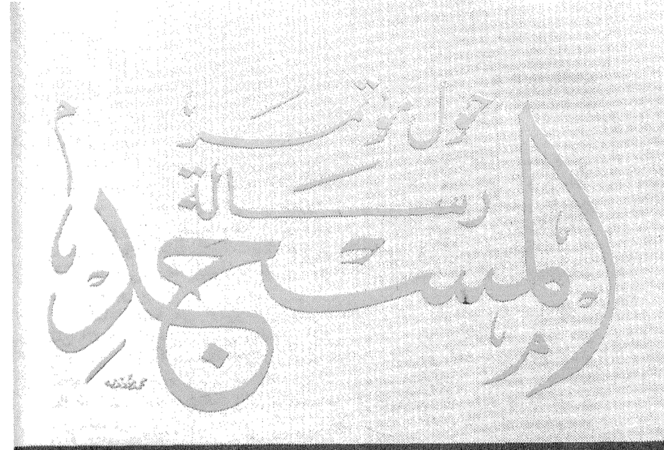
على ان الاغتسال والتطهر بوجه عام مشروط او مندوب لعدة اعمال فى الحج ، فعن ابن عمر انه قال : من السنة ان يغتسل اذا اراد الاحرام ، واذا اراد دخول مكة . رواه البزار والدار قطنى والحاكم وصححه . وكذلك يسن الغسل للوقوف بعرفة .

والطيب جائز قبل الاحرام حتى لو امتد اثره الى ما بعد الاحرام ، ففى البخارى ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : كأنى انظر الى وبيص الطيب — اى بريقه — فى مفرق رسول اللهصلى الله عليه وسلم وهو محرم . وعنها ايضا قالت : كنا نخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ، فننضح جباهنا بالمسك عند الاحرام ، فاذا عرقت احدانا سال على وجهها فيراه النبى صلى الله عليه وسلم فلا ينهانا . رواه احمد وابو داود .

وجوز الفقهاء استعمال الصابون وغيره من كل ما يزيل الأوساخ اثناء الاحرام ، وعند الشافعية والحنابلة يجوز أن يغتسل بصابون له رائحة ، لأن المقصود به النظافة لا التطيب .

هذا ، وكثير من الناس الذين فهموا النصوص خطأ يمتنعون عن الاغتسال وتغيير الملابس ويؤثرون البقاء على ما هم عليه حتى بعد انتهاء اعمال الحج وانتظار العودة الى البلاد ، ويظنون ان ذلك من الدين ، مع ما قد يفوح منهم من رائحة كريهة ، وبخاصة فى ايام الحر . وهم بذلك يخلقون مجالا لبعض الأمراض ، الى جانب ايذاء الغير بروائحهم الكريهة .





من توصيات المؤتمر :

- ●● انشاء مجلس اعلى عالمى للمساجد .
- ●● العناية بالشباب بما يتفق مع عمره وروح العصر .
- ●● العناية بالمرأة لتاخذ نصيبها من الثقافة الاسلامية .
- ●● انشاء معاهد متخصصة لتخريج الائمة والدعاة .
- ●● ربط خطبة الجمعة بواقع الحياة العامة .
- ●● احياء روح الجهاد والقوة فى نفوس الأمة .
- ●● بذل الجهود لتشكيل كتائب الجهاد الاسلامية .
- ●● انشاء صندوق تمويل للانفاق على شئون المساجد محليا .
- ●● اعتبار المسجد مركزا لحياة المجتمع الاسلامى .



اعداد : الاستاذ بدر سليمان القصار

● في رحاب البيت العتيق الذي قال فيه عز وجل : (ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين) .

وفي شهر رمضان : (الذي انزل فيه القران هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) .

في هذا المناخ الايماني الطيب انعقد في مقر الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي أول مؤتمر لرسالة المسجد في الفترة ما بين الخامس عشر والثامن عشر من شهر رمضان المبارك عام ١٣٩٥ هـ الموافق ٢٠ ـ ٢٢ من شهر سبتمبر ١٩٧٥ م .

وتجدر الاشارة الى آن مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الاسلامية الذى عقد فى دولة الكويت ما بين ٢٣ ـ ٢٨ محرم ١٣٩٣ هـ الموافق ٢٦ فبراير ـ ٣ مارس ١٩٧٣ م أوصى فى البند السابع من باب الدعوة الاسلامية بما نصه :

« العودة بالمسجد الى سيرته الاولى ووضع اسلوب جديد لخطبة الجمعة ليقوم برسالته على أكمل وجه » .

وقد شهد مؤتمر رسالة المسجد ممثلو ثمانين شعبا ودولة هي : الأرجنتين ، الأردن ، أسبانيا ، استراليا ، افغانستان ، المانيا الغربية ، الامارات العربية المتحدة ، أندونيسيا ، أوغندا ، ايران ، ايطاليا ، باكستان ، البحرين ، البرازيل ، البرتغال ، بريطانيا ، بلجيكا ، بنغلاديش ، بوتسوانا ، تايلند ، تزينداد ، تشاد ، تشيلى ، تنزانيا ، تونس ، جامبيا ، جزائر ريونيون ، جزائر القمر ، جنوب افريقيا ، الداهومى ، رواندا ، روسيا ، زامبيا ، سنغافورا ، السنغال ، السودان ، سوريا ، سورينام ، سويسرا ، سيريلانكا ، الصين ، العراق ، عمان ، غانا ، غويانا ، غينيا ، الفلبين ، فلسطين فنزويلا ، فنلندا ، فولتا العليا ، قطر ، كندا ، كنغو ـ برازافيل ، كنغو زانير (كينشاسا) ، كوريا ، الكويت ، كينيا ، لبنان ، ليبيريا ، مالى ، ماليزيا ، مدغشقر ، مصر ، المغرب ، موريتانيا ، موريشيس ، النيجر ، نيجيريا ، الولايات المتحدة الامريكية ، الهند ، هولاندا ، اليابان ، اليمن ، يوغوسلافيا ، التبت ، المملكة العربية السعودية ، ولفيف كبير من الشخصيات الاسلامية .

وقد احتوى جدول أعمال المؤتمر على :

١ ـ رسالة المسجد فى العالم عبر التاريخ :

أ) رسالة المساجد فى عصور ازدهارها .

ب) أوضاع المساجد فى العالم فى العصر الحاضر .

٢ ـ المسجد محور للنشاط ومركز للتوجيه الروحى والفكرى للأمة :

أ) تطوير خطب الجمعة بحيث تتمشى ومتطلبات العصر وتحدياته مع ضمان انتشارها وحفظها .

ب) توسيع مجالات الخدمة التي يقوم بها المسجد فكريا وعلميا واجتماعيا مع تسخير كل الوسائل الاعلامية والتربوية الحديثة .

ج) ادارة المسجد والتنسيق بين اداراته على الصعيدين المحلى والعالمى .

٣ ـ حسن اعداد الائمة ومساعديهم ورفع كفاياتهم ومكانتهم :

أ) وسائل اعداد الائمة ومساعديهم ورفع كفاياتهم فكريا وعلميا وثقافيا .

ب) النهوض بمكانة الائمة ومساعديهم اجتماعيا واقتصاديا .

٤ – التخطيط لبناء المسجد ومرفقاته :

أ) التخطيط لتعمير المساجد بين أوساط وتجمعات المسلمين في المدن والقرى ، ووسائل صيانتها .

ب) المرافق الضرورية الملحقة بالمساجد وطرق الاستفادة منها .

وقد افتتح المؤتمر الأمير أحمد بن عبد العزيز (نائب أمير مكة) نيابة عن الملك خالد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية ، حيث اشاد بالجهود المبذولة لاقامة المؤتمر ، وحيا المشتركين فيه وأظهر حرص المملكة العربية السعودية على كل ما يعود على الاسلام والمسلمين بالخير .

وفي بداية الجلسات القيت عدة كلمات من رؤساء الوفود تدور كلها حول رسالة المسجد وما كان له من شأن عظيم في جميع العهود . وقد كان لكلمة رئيس وفد الكويت السيد / عبد الله المفرج وزير العدل والأوقاف والشئون الاسلامية الوقع الطيب في نفوس الحاضرين ، قال سيادته :

« نحمد الله على توفيقه الذي جمعنا في هذا اللقاء الكريم ، بجوار بيته العتيق ، وفي هذا الشهر المبارك ، لنتدارس الآراء حول موضوع خطير ، اذا ما أحسن استغلاله ، وأخذ دوره وفهمت رسالته .

وبعد أيها الاخوة الكرام :

لا يسعنا أزاء الدعوة الكريمة التي سعدنا باستلامها من الأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامي وحرصنا على تلبيتها اقراراً منا بأهمية الموضوع وجدارته بل وأولويته بعقد مثل هذا المؤتمر الا آن نزجي خالص الثناء لرابطة العالم الاسلامي على كريم دعوتها وحسن استقبالها وضيافتها واعدادها الموفق لهذا المؤتمر ، الذي مكن هذا الجمع المختار من العلماء والمسئولين أن يلتقوا ويتدارسوا ويتبادلوا الآراء حول رسالة المسجد ودوره .

واذا كان لنا أن نستدل من المقدمات على النتائج فاننا بكل اطمئنان على ثقة بما سيتمخض عنه هذا المؤتمر من نجاح ان شاء الله .

فشهر التنزيل ومهبط الوحي يمثلان أعلى منازل الزمان والمكان في الاسلام وحينما ينعقد هذا المؤتمر في ظل هذين الظرفين والموضوع كان على عبر الاجيال الاسلامية جميعها موضع الاحترام والاجلال والتقديس ، لما له من مهام كبير في النفوس وآثر عظيم في الحياة

الاسلامية ، باعتباره المسجد بيتاً مقدساً لعبادة الله وحده ، كما أشار الى ذلك رب العالمين ، فى كتابه الكريم : (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) فضلا عن كونه مركز القيادة والسيادة بما يدعو له وبما ينطلق منه ودارا للتربية والتعليم ومؤسسة للاعلام والتوجيه وخلية لاعداد المؤمنين ٠

واذا كان المسجد قد قام بمثل هذه الأدوار عبر العصور وشواهد ذلك يحفل بها تاريخنا ، بل أن خريجى المساجد بجهادهم وعلمهم هم الذين صنعوا أنصع صفحات هذا التاريخ الذى نعتز به ونفخر الآن ٠

اننا اليوم ونحن نبحث مثل هذا الموضوع لنجدد دور المسجد ورسالته أمامنا تجربة خصبة وتاريخ طويل يمكن أن نصنع حصيلته فى مواجهة واقع جديد نعيشه فى مجتمعاتنا الاسلامية اليوم ويتمثل فى عدد من المؤسسات التى نشأت استجابة للتطور واقتطعت من المساجد كثيرا من الاختصاصات أو فرغت المسجد فى كثير من الأحيان من أبرز مهامه ، وقصرته على دور العبادة فقط ٠

ان أول خطوة لا بد لنا من القيام بها بعد دراسة علمية شاملة فاحصة هى صنع جسور قوية لربط المسجد بحياتنا ، وربط حيـــاتنا بالمسجد من خلال مختلف المؤسسات الاجتماعية والعلمية والثقـــافية لنحقق رسالة المسجد وسائر أهدافه السامية عن طريق تضافر الجهود والتكامل فى أداء الأدوار ٠

ونحن بدولة الكويت سوف نستهدى بما ينتهى اليه مؤتمركم من توصيات ونسأل الله أن يوفقنا لتطبيقها لندعم بها ما بدأنا به من اتجاهات يسرنا أن تجدوها بين أيديكم فى هذا المؤتمر الكريم لدراستها وابداء ملاحظاتكم ومقترحاتكم حولها ٠

وختاما نكرر شكرنا للأمانة العـــامة لرابطة العالم الاســـــلامى وسعادتنا بحضور هذا المؤتمر والمشاركة فيه والالتقاء مع هذه الصفوة الكريمة من الاخوان ، وأضرع الى الله أن يتم علينا جميعا نعمـــــة الايمان ، ويوفق أمتنا الى سبيل الرشاد والسداد انه سميع مجيب ،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

وقد قام الوفد الكويتى بتقديم عدة اقتراحات من اهمها :

١ — اقامة اتحاد عام للعاملين بالمساجد فى البلاد الاسلامية يختار لها مركز مناسب مثل مكة المكرمة ، ولهذا الاتحاد العام اثره الفعال فى مناقشة المتغيرات الحديثة وربط الدعوة بها موضوعا واسلوبا .

٢ — تعيين الائمة والوعاظ من ذوى المؤهلات العالية فى جميع المساجد .

٣ — اعداد مساكن للائمة لكل العاملين فى المساجد .

٤ — عمل دورات تدريبية لجميع القائمين على شئون التوجيه الدينى لاطلاعهم على كل جديد فى الحقل الثقافى والسياسي والاجتماعى ورسم الطريق الامثل المناسب لمتغيرات الحياة .

٥ — استغلال المسجد لمحو الامية وهو انسب مكان لمن فاتهم سن التعليم .

٦ — قيام الامام بالصلح بين المتخاصمين فى الامور التى لا تحتاج الى تدخل القضاء فانهاء المشاكل عن طريق الدين له اثره فى عدم ترك آثار نفسية ضارة .

٧ — تعميم الأمكنة الخاصة بالسيدات والعناية بالدروس التى تلقى عليهن . من خريجات الكليات الاسلامية المزودات بالدراسات الاجتماعية والنفسية والتربوية .

٨ — توسيع حجم المكتبات الموجودة فى المساجد ، وتزويدها بالكتب الثقافية المختلفة .

٩ — نقل شعائر الجمعة بالتلفزيون لاعطاء صورة حية كاملة لما يجرى فى المسجد فى هذا اليوم العظيم .

١٠ — اعطاء الامام مزيدا من الحرية ومن الحركة ليباشر نشاطه الواسع فى منطقته .

هذا وقد تم فى اول جلسة للمؤتمر انتخاب الشيخ عبد العزيز بن باز (عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامى ورئيس الجامعة الاسلامية) رئيسا للمؤتمر وفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود نائبا كما تشكلت عدة لجان هى :

١ — لجنة رسالة المسجد .
٢ — لجنة التوجيه والاشراف على المسجد .
٣ — لجنة التخطيط الهندسي .
٤ — لجنة اعداد الائمة والخطباء والدعاة .
٥ — لجنة خطبة الجمعة .
٦ — لجنة تمويل المسجد .
٧ — لجنة المسجد الأقصى .

التوصيات والقرارات :

وبعد أن تدارس المؤتمرون جدول اعمال المؤتمر رفعت اللجان توصياتها وانتهى المؤتمر الى عدة قرارات كان اهمها :

فيما يتعلق بموضوع رسالة المسجد :

● يجب أن يكون هناك وعي كامل بمفهوم المسجد ورسالته ، هذه الرسالة التى تقوم على أساس من هدى الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وصالح الأمة الاسلامية وهذا يجب امداد الانسان المسلم بما يقوى ايمانه ويثبت خطاه على طريقه : عقيدة وعبادة ومعاملة وخلقا وابعاد ما يحول دون تحقيق هذا الهدف من انحراف علمي أو تشويه فكرى .

● ان البنيان الاجتماعى عرضة لتغييرات هى طبيعة الحياة ولذا كان على المسجد ورجالاته الاهتمام بملاحقة تلك التطورات لا تقليــــدا ومحاكاة وانما دراسة لبيان حقيقتها واختيار الصالح منها واصطناع الصيغة الملائمة لتقديمها الى جماهير المسلمين حتى لا يتأخر المسجد عن موكب التطور ولا ينعزل عن جماهيره .

● العناية بوضع مناهج اسلامية للدعوة تتلاءم مع واقع الحركة الاسلامية لكل منطقة ، فالأمر الذى لا شك فيه انه وان كان هناك القدر المشترك الذى لا بد منه فى عملية الدعوة الاسلامية الا ان هناك بلا شك فروقا بيئية وحضارية تلزمنا باتخاذ علاج معين وموقف خاص يهدف الى تقوية الدعوة وتنشيط سيرتها .

● مراجعة مناهج الدعوة بين الحين والآخر لاضـــافة مزيد من الخبرات الميدانية التى تكونت للدعاة نتيجة ممارستهم لمهمتهم ميدانيا وعمليا فالكتب المؤلفة وان لم ينكر دورها فى ثقافة الداعية الا ان التجـــارب الميدانية لها آثارها التى لا تنكر فى هذا المجال والتى قد تؤيد نظرية أو توجب تعديل الأخذ بها .

● ضرورة التنسيق بين المسجد والوسائل الاعلامية والمؤسسات التربوية حتى تكون جميعها من وراء الهدف الموحد لخدمة عقيدة المسلم وتصحيح سلوكه حسب تعاليم الشريعة الاسلامية الغراء .

● ضرورة عقد مؤتمرات دورية لائمة كل منطقة لتبادل الخـــبرات والتجارب ودراسة المشاكل التى تعترض مهمة المسجد ووضع الحـــلول المناسبة لعلاجها بما يتفق مع صالح الجماهير ضمن الاطار الاســـلامى الصحيح .

وفيما يتعلق باعداد الأئمة والخطباء :

● انشاء معاهد متخصصة فى تخريج الائمة والدعاة وفق مناهج يضعها الخبراء من الأساتذة وكبار الدعاة وذلك بناء على المشروع المقدم للأمانة العامة للرابطة .

● عقد دورات تدريبية اقليمية للاستماع من الائمة الى ما صادفهم من مشكلات ومعاونتهم على حلها مع تزويدهم بما يجدد ثقافتهم ومعلوماتهم .

● اعداد البحوث الواسعة والدراسات التوجيهية المتنوعة فى بيان واجبات الامام وانشاء مجلة متخصصة لمساعدة الأئمة فى مهمتهم ومدهم بالبحوث التى تتصل بأعمالهم .

● احاطتهم علما باحدث الوسائل فى خدمة الدعوة وتبليغ الكلمة باحسن الوسائل .

وفيما يتصل بخطبة الجمعة :

● تصحيح المفاهيم المغلوطة عن الاسلام ورد الشبهات والاباطيل



الأمير أحمد بن عبد العزيز نائب أمير منطقة مكة المكرمة أثناء افتتاحه المؤتمر

التي يثيرها خصومه لبلبلة الأذهان بأسلوب مقنع حكيم بعيد عن المهاترات والسباب ومواجهة الأفكار الهدامة والمضللة بتقديم الاسلام الصحيح باعتباره منهج الأمة الأصيل الذى ارتضاه الله لها وارتضته لنفسها دينا مع ابراز خصائصه من الشمول والتوازن والعمق والايجابية .

● ربط الخطبة بالحياة وبالواقع الذى يعيشه الناس وذلك بالتركيز على علاج أمراض المجتمع وتقديم الحلول لمشكلاته مستمدة من الشريعة الاسلامية الغراء ، مع اعطاء عناية لشئون المراة والأسرة المسلمة ، نظرا لما تتعرض له من فتنة يحرك تيارها أعداء الاسلام .

● احياء روح الجهاد والقوة فى نفوس الأمة ، واشعال جذوة الحماس لحماية حرمات الاسلام ومقدساته ، وأوطانه . وصون دماء المسلمين واعراضهم واموالهم والدفاع عن عقيدة الاسلام وشريعته ، والعمل لازالة الطواغيت المعوقين لسير دعوته .

● يجب أن تنزه خطبة الجمعة عن أن تتخذ اداة للدعاية لشخص او حزب أو نظام ، وان تكون خالصة لله تعالى ولدينه ، وتبليغ دعوته واعلاء كلمته : **(وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)** .

● ينبغي الا تفرض على الخطيب خطبة موجهة من قبل السلطات ، يرددها ترديدا آليا لا روح فيه . وأن تترك له الحرية لاختيار موضوعه واعداده وأدائه بالطريقة التي يرضاها عقله وضميره ؛ وفقا لما درسه من كتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

● على العلماء والدعاة الأكفاء أن يضعوا أمثلة رفيعة لموضوعات اسلامية متنوعة ، تشتمل على المواد الأساسية لبناء الخطبة ، فى صورة أدلة وشواهد من الكتاب والسنة والسيرة والتاريخ الاسلامى ، والأقوال المأثورة ، والشعر البليغ لتكون فى أيدى الخطباء . فى شتى الأقطار الاسلامية ، ليستعين بها من يحتاج اليها فى اعداد الخطبة .

● ينبغى الا يطيل الخطيب الى حد يثقل على المستمعين وينفرهم من سماع الخطبة ، والا يقصر الى حد يخل بموضوعه ويبتره .

فيما يتعلق بموضوع المجلس الأعلى العالمى للمساجد :

● حماية المساجد من كل اعتداء يقع عليها أو على ممتلكاتها من أى انتهاك لحرماتها وأعادة المساجد التى حولت عن طبيعتها الى أوضاعها الأصلية كمسجد أيا صوفيا وغيره .

● الحفاظ على الأوقاف الاسلامية واسترجاع ما عطل أو صودر منها وتنميتها .

● الدفاع عن حقوق الأقليات الاسلامية فى أداء شعائرهم الدينية فى المساجد وايقاف المضايقات التى يتعرضون لها .

● وضع الخطط العامة لاحياء دور المسجد فى التوجيه والتربية والتعليم ونشر الدعوة وتقديم الخدمات الاجتماعية .

● اصدار مجلة دورية باسم (رسالة المسجد) تعنى برفع كفاية الأئمة والخطباء الثقافية والفنية وتضع بين أيديهم نماذج رفيعة من الخطب والدروس المدعمة بالنصوص من الكتاب والسنة .

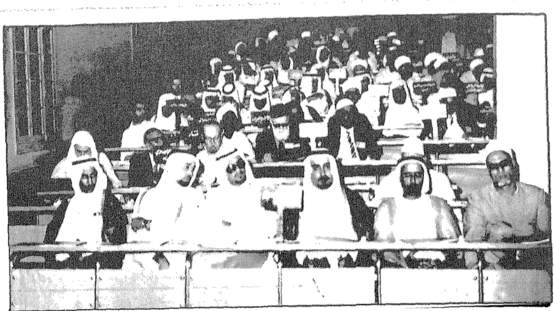
● اصدار المؤلفات والنشرات التى تشرح مبادىء الاسلام وتوضح مزاياه .

● أ) ضرورة تخصيص اذاعة من مكة المكرمة باسم (رسالة المسجد) باللغات المختلفة وتكون قوية بحيث تسمع فى جميع أنحاء العالم .

ب) العمل على تخصيص ركن فى كل اذاعة اسلامية لرسالة المسجد .

جـ) العمل على أيقاف الأذاعات المسيحية الصليبية فى البلاد الاسلامية وتسليمها للمسلمين لنشر دعوة الاسلام .

● القيام بمسح شامل للمساجد فى العالم وتدوين المعلومات اللازمة عنها وضبطها فى سجل خاص وتفريغها فى كتب ونشرات دورية بين حين واخر .



منظر عام للوفود المشاركة فى المؤتمر .

● أختيار مجموعة من الدعاة القادرين على مهمة الدعوة والخطابة بعد اعدادهم للقيام بجولات توجيهية فى مساجد العالم الاسلامى .

● اقامة دورات تدريبية مستمرة لأئمة المساجد وخطبائها مركزية واقليمية تثرى ثقافتهم وترفع كفايتهم .

● تشكيل هيئة أو مجلس ادارة لكل مسجد تتولى الاشراف المباشر على المسجد ومرافقه وملحقاته واداراته وتنظيم شئونه .

● دراسة الأفكار وانماط السلوك التى تتعارض مع تعاليم الاسلام وتفنيدها .

تكوين المجلس :

فيما يتعلق بتشكيل المجلس الأعلى العالمى للمساجد يوصي المؤتمر بما يلى :

● يعين المؤتمر هيئة تأسيسية تضع النظام الأساسي للمجلس الاعلى العالمى للمساجد ، وتسمى أعضاء المجلس لفترة تحددها . ويكون أعضاء المجلس مسئولين أمامها .

● يكون لأعضاء الهيئة التأسيسية الحق فى اضافة أعضاء جدد اليها تختارهم ٠

● ينشأ مكتب أمانة عامة فى رابطة العالم الاســــلامى للهيئة والمجلس ٠

فيما يتصل بموضوع تمويل المساجد :

● المشروعات الاستثمارية التى يقوم بها صندوق التمويل بالطرق الشرعية لصالح المسجد .

● يتم انشاء (صندوق للتمويل) يتولى جمع هذه التبرعات والانفاق منها على شئون المسجد محليا .

● ينشيء المجلس الاعلى العالمى للمساجد (صندوقا) تكون مهمته التنسيق بين احتياجات المساجد فى انحاء العالم ٠

● من الأهمية بمكان ان يتولى المجلس الأعلى العالمى للمســــاجد عملية تنسيق التبرعات لتعمير بيوت الله بحيث لا يتكرر التبرع لواحد منها بينما يبقى غيره فى اشد الحاجة الى التمويل .

فيما يتصل بموضوع التخطيط الهندسي للمساجد :

● اعتبار المسجد مركزا لحياة المجتمع الاسلامى حيث الواجبات الاجتماعية هى امتداد للواجبات الدينية . وعلى هذا الأساس يجب ان يكون المسجد فى قلب المدينة أو الحي بارزا سواء كان فى القــرية او الحي او مقر العمل .

● البساطة فى التصميم والتنفيذ ومراعاة البيئة التي يشيد فيهــا المسجد مع استخدام الأساليب الحديثة فى مجالات الهندسة والتشييد .

● أن يصمم المسجد ليخدم مجموعة من الاغراض اللازمة لحيــاة المسلمين ٠

فيما يتصل بموضوع المسجد الاقصى :

● العمل على تقوية روح الجهاد عند المسلمين ، وبذل الجهود فى سبيل تشكيل كتائب الجهاد الاسلامية لاستنقاذ المقدسات بالتعاون مع المجاهدين من اجل فلسطين .

● تشكيل لجنة دائمة تحمل اسم (لجنة المسجد الاقصى) يكون مقرها رابطة العالم الاسلامى ، وتكون مهمتهــا متابعة تنفيذ هــــذه التوصيات .

كما اصدر المؤتمر فى نهاية جلساته ايضا عدة توصيات هامة منها :

● مطالبة الحكومات الاسلامية بتحكيم الشريعة الاسلامية وتطبيقها

فى جميع امور الدين والدنيا **(ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون)** .

● ان مؤتمر رسالة المسجد يتابع بقلق شديد الاحداث الدامية فى لبنان وبدافع من ايمانه برسالة الاسلام السمحة يتوجه الى جميع اللبنانيين بنداء اخوى لايقاف الاقتتال .

انطباعات السيد الوزير ..

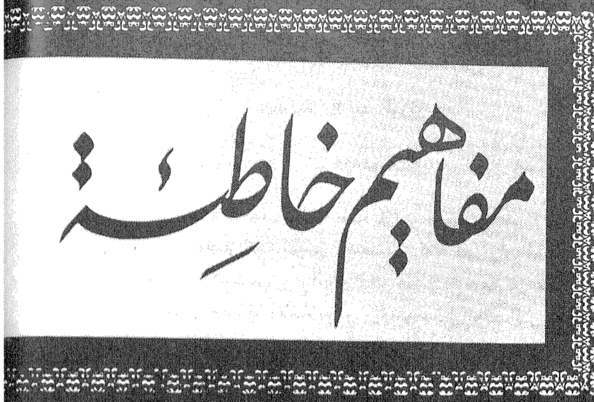
ولما كان السيد الوزير يمثل دولة الكويت فى المؤتمر وقد ساهم مساهمة فعالة فيه فيطيب لنا ان نعرض انطباعاته حول المؤتمر وما توصل اليه وتطلعاته الى رسالة المسجد ..

المؤتمر بادرة كريمة والتفاتة طيبة لموضوع مهم وخطير ، جدير بأن يطرح أمام مؤتمر كهذا المؤتمر ، مثلت فيه كافة الوزارات المختصة بالعالم العربى والاسلامى بوزرائها والتقى فيه جمع كريم من مختلف المسلمين المهتمين بالقضايا الاسلامية ومن شتى بقاع العالم التى يتمثل فيها الوجود الاسلامى .

وطرح موضوع رسالة المسجد من خلال مختلف الجوانب وعلى ضوء الوثائق والدراسات التى أعدت من عدد من الشخصيات العلمية والجهات الاسلامية . وقد يكفى أن يكون هذا اللقاء وفر فرصة لهذا الجمع الكريم من المسلمين أن يلتقوا فى شهر التنزيل وبجوار بيت الله الكريم للتداول فى قضية دور المسجد ورسالته بل تجاوزها مع ما تنطوى عليه من شمول الى بحث قضايا عديدة تعلق بتوثيق التعاون الاسلامى ودعم التضامن بين سائر الأقطار الاسلامية . فضلا عن ذلك فان ما انتهى اليه المؤتمر من توصيات تدل على مدى الجهد المبذول والتطلع المأمول لوصف الدواء الناجع للخروج من الوضع الحالى للمسجد الى وضع يتفق مع رسالة المسجد والحياة المعاصرة .

وقد كان من أبرز النتائج الهامة هو ما انتهى اليه المؤتمر باقرار لجنة تحضيرية للمجلس الأعلى الاسلامى للمساجد .

تلك صورة اجمالية لما جرى فى المؤتمر عرضناها عليك — اخى القارىء — لتكون على بينة من اهمية المسجد ودوره العظيم فى تاريخ الأمة الاسلامية ، فلم يكن فقط لأداء الصلاة بل كانت تعقد فيه الوية الحرب وتعالج فيه المشاكل اليومية للمسلمين ولكى يعود للأمة الاسلامية مجدها لا بد أن يعود للمسجد دوره الكامل فى حياة المسلمين وهذا ما نرجوه والله الموفق .



يواجه الاسلام في هذا العصر تيارات عاصفة من المذاهب، والآراء والفلسفات، ترمي في محيط العالم الاسلامي بالمنحرف من الآراء، والضال من المذاهب، والفاسد من الفلسفات، فتحدث في المجتمعات الاسلامية بلبلة في التفكير، واضطرابا في العقيدة، وانحرافا في السلوك، مما نشهد آثاره في كثير من شبابنا، وخاصة أولئك الذين ألموا بأطراف من الثقافة الغربية، وخالطوا الغربيين في حياتهم زمنا طويلا أو قصيرا، دون أن يكون عندهم زاد عتيد من أصول دينهم، أو فهم صحيح لأحكام شريعتهم الاسلامية.

ولا ننكر ان في الغرب علوما زاخرة بشتى أنواع المعرفة الانسانية، هي نتاج عقول ناضجة، ومدارك واسعة كما لا ننكر ان في الغرب حضارة زاهية قامت على أساس من علم استطاع القوم به أن يكتشفوا كثيرا من خبايا الطبيعة وأسرارها، وأن يسخروا هذا في بناء ما أقاموا من حضارة، وما أعلوا من صروحها

لا ننكر هذا، كما لا ننكر على الذين يطلعون منا على هذه العلوم، أو يشهدون معالم الحضارة أن يعجبوا بها، وأن يتطلعوا الى اليوم الذي يكون لنا فيه علم يناظر هذا العلم، وحضارة تسامت هذه الحضارة أو تعلو عليها .. ولكن الذي ننكره من أنفسنا، هذا الخذلان، وهذا الاستخذاء، فنقف من علوم الغرب، وحضارة الغرب موقف المستوردين لا المصدرين، وموقف المستهلكين لا المنتجين، فذلك من شأنه أن يعفي عقولنا من التفكير، ويشل أيدينا عن العمل، فنظل حيث نحن في مكاننا هذا لا نبرحه، ولا نتزحزح عنه،



آخذين موقف المتفرج في حلبة سباق ، يتبارى فيها الناس بكل ما أوتوا من قوة عقلية ومادية ، ليبلغوا هدفا ، يبنون به مجدا ، ويسخرون به قوة يملكون بها ناصية من نواصي الحياة .

ذلك الذي ننكره من أنفسنا ، وننكره على شبابنا الذين بهرتهم مدنية الغرب وحضارته ، ثم رضوا أن يتزيوا بزي القوم ، ويأخذوا سمتهم في الجانب المادي من حياتهم ، دون أن يحدثوا في حياتهم المعنوية شيئا يحمد لهم في دينهم أو في دنياهم . .

انهم أشبه بالغراب الذي أعجبته مشية الطاووس ، وخيلاؤه ، فالتقط من ريش الطاووس المتساقط على الأرض ما غطى به جناحيه ، وزين به رأسه ، حتى اذا رأى أنه قد أشبه الطاووس ، جعل يمشي مشيته ، ويقلد حركاته ورقصاته ، وجعل يعاني من ذلك ما يعاني ، دون أن يدخل في جماعة الطواويس ، ويحسب واحدا منها ، فلما أيأسه ذلك وأراد أن يعود أدراجه ، ويأخذ مكانه بين الغربان ، وجد نفسه غريبا بينها ، فلا كان طاووسا ، ولا كان غرابا !! .

تلك حال كثير ممن فتنوا منا بالغرب ، وبمظاهر الحياة البادية فيه ، فجعلوا يقلدون أهل أوروبا وأمريكا في هذه المظاهر ، كما يلبس الممثل على المسرح ثياب بطل من أبطال التاريخ ، ويتسمى باسمه ، ويخوض المعارك بسيفه ، ويهزم الجيوش تحت رايته ، حتى اذا أدى دوره على المسرح ، عاد الى حاله الأولى دون أن يكسب شيئا مما كان فيه منذ لحظات ، وهو يزأر زئير

الأسد ، ويهجم هجوم النمر !!

ويذكرني هذا بما يروى عن الشاعر الفاتك « تأبط شرا » اذ جاءه من فتن بشجاعته ، وما ذاع عنه بين الناس من تلك الشجاعة ، حتى لقد كان مجرد ذكر اسمه يثير الخوف والفزع عند سامعيه .

جاء الى « تأبط شرا » — هذا الانسان المفتون به ، وساومه على ان يشتري منه اسمه بعشر نياق وان يعطى تأبط شرا اسمه بدون مقابل !! وعجب تأبط شرا لهذا العرض المضحك ، ولكنه — على سبيل المعايشة والسخرية — قبل من الرجل ، واسمه « ابو وهب » — هذا العرض ، وقال له : رضيت !! انت منذ الآن تأبط شرا ، وانا « ابو وهب » .. ونقده الرجل الثمن ومضى ، وهو عند نفسه الشاعر الفاتك ، ينادى في الناس : انا تأبط شرا ، فكان الناس ينظرون اليه ، بين متهم له بالجنون ، وبين ساخر منه ، او مشفق عليه . .

ولا تنتهي هذه المهزلة عند هذا .. وكيف ، و « تأبط شرا » شاعرا ، والموقف يستدعى شياطين الشعر كلها ؟

وانه ما يكاد الرجل يزايل موقفه مع « تأبط شرا » وهو يمشي في عجب وخيلاء ، حتى اتبعه تأبط شرا بهذه الابيات مخاطبا بها زوج صاحبه ، وقد دخل عليها في صورة هذا الشاعر الفاتك .. يقول تأبط شرا :

ألاهل اتى الحسناء ان حليلها
تأبط شرا واكتنيت أبا وهب

هبيه تسمى اسمي وسميت باسمه
فاين له صبري على فادح الخطب؟

واين له بأس كبأسي وقوتي ؟
واين له في كل واقعه ضربي ؟

فما رايك في هذه الواقعة ؟ ان لك ان تسميها مهزلة تقع موقع المعابثة والمضاحكة ، اذ انت التقيت بها متخففا من جد الحياة في ساعة من لهو او فراغ .. ولكنك اذا لقيتها في حال من التدبر والتامل ، رايتها مأساة ، حيث يخف بها ميزان الانسان عند نفسه فيضمر وجوده ، وتذهب شخصيته ، ويهون عليه أن يبيعها باى ثمن ، وان يملأ هذا الفراغ باى شيء !! هنا تكون المأساة ، ويكون البلاء الذي يغتال الأفراد والجماعات على السواء .. ولسان الحال يقول :

اذا انت لم تعرف لنفسك حقها
هوانا بها كانت على الناس أهونا

اثار هذه المشاعر فى نفسي ما دار فى ندوة عامة ، اقيمت هنا في القاهرة ، واحتشد لها عدد من المفكرين الذين يحتلون مكانة بارزة في المجتمع وقد كان يمكن التجاوز عما دار في هذه الندوة من قضايا ، لو انها لم تمس الصميم من الاسلام ، ولم تحرف فيه الكلم عن مواضعه ، كما انه كان من الممكن غض الطرف عنها ، لو ان حديث الندوة كان محصورا بين الذين استمعوا الى ما دار فيها ، ولم ينشر فى الصحف ، ويحتل مكانا بارزا فيها ، ولكان مما يسوى به حساب هذه الندوة انها مجرد حديث عابر ، محصور في دائرة ضيقة لم يتجاوز بضع عشرات من الناس .

أما والحديث قد تناول قضايا اسلامية خطيرة تمس الصميم منه ، واما وهذا الحديث قد ذاع فى الناس ، وانتشر هذا الانتشار الواسع ، فان

السكوت على ما فيه من مغالطات ، وتحريفات ، هو سكوت على امر منكر ، يوجب الدين على كل مؤمن ان يغيره بكل ما يملك من وسائل التغيير !!

ونكتفى في هذا المجال المحدود ، ان نقف عند بعض الأحكام التى صدرت في هذه الندوة من بعض المتحدثين فى تلك الندوة ، وتناولت بعض قضايا الاسلام : في محاولة جريئة لالباس هذه القضايا لباس العصر ، وتصويرها للناس على انها بنت الاسلام نسبا وصهرا ، وان هذا الوليد اللقيط هو من ابناء الشريعة الاسلامية ابا واما !!

يقول احد اقطاب الندوة فى اطمئنان وثقة :

« ان قطع يد السارق في الاسلام كان حكما موقوتا في الاسلام ، وانه كان رخصة فى ظرف كان يعاصر الاسلام !! فى الأول لم يكن هناك سجون يودع فيها المسجونون ، ولذلك رأى ـ اى الاسلام ـ قطع يد السارق !! اما والمجتمع الاسلامى اليوم قد تحضر واصبح قادرا على اقامة السجون (كذا !!) اصبحت هذه الرخصة ـ اي رخصة القطع ـ كرخصة « وما ملكت ايمانكم » هذا ما افتى به هذا المتحدث بنسخ آية محكمة فى كتاب الله ، لا ينتقص حكمها ما دام على هذه الأرض مؤمن يدين بالاسلام .. والله سبحانه وتعالى يقول : (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) المائدة / ٣٨

وننظر في الآية الكريمة ، فنجد انها تحمل أمرا قاطعا من الله الى المسلمين ان يقيموا حد الله تعالى ، على السارق والسارقة ، وذلك بقطع ايديهما .. ثم اكد الله تعالى هذا الأمر ببيان العلة الموجبة للقطع ، وهو النكال الرادع الزاجر لمن يعتدون على حرمات اموال الناس ، وان هذا النكال ليس مما يقضي به الناس ويقدرونه : وانما هو مما قضى به الله تعالى ، وقدره بحكمته وعدله ..

أمثل هذا الحكم الموثق من الله تعالى يمكن ان يقبل تبديلا أو نقضا ؟ وامثل هذا الحكم يمكن ان يحتمل تأويلا فى منطوقه الصريح القاطع ؟ ان من يجرؤ على مثل هذا ، انما هو احد رجلين : رجل لم يقرأ كتاب الله ولم يتدبر آياته ، ولم ينظر نظرا فاقها في الشريعة الاسلامية واحكامها ، فأفتى بغير علم ، وما كان له أن يفتى فى دين الله بشيء لم يحط علما به ، ولم يكن اهلا له .. واما رجل مستخف بالدين ، يخوض فيه خوضا غير متأثم ولا متحرج ..

والرجل ـ في رأينا ـ مؤمن بالله، ولكن آفته هى الجهل بدين الله ، ومحاولته الغبية الجهول ان يسحب الشريعة الاسلامية على وجهها ، وان يجرها جرا معفرة في التراب ، حتى تنقاد من مقودها حتى تدخل حظيرة الحضارة والمدنية ، ولو كانت جثة هامدة !!

والا فكيف يفتى هذا المفتى بان قطع يد السارق كان رخصة فى اول الاسلام ، ثم يعلل لهذه الرخصة بان المسلمين فى العصر الأول لم يكن لهم سجون ، فاضطرت الشريعة ازاء هذا العجز ان تجعل قطع اليد بديلا من السجن ، وأننا الان في هذا العصر ، وقد اصبحنا قادرين على اقامة السجون ، فقد زال حكم هذا الاضطرار ، وبهذا يعود الأمر الى طبيعته ، فيبدل قطع اليد للسارق ، الى عقوبة السجن !!

ولا يقف هذا المعنى عند هـــذا الحد من الجراة على شريعة الله ، واجراء احكامها على هواه .. فياتي بدليل على حجية فتواه ، فيقــول : والأمر فى قطع يد السارق ، مثل الامر في « وما ملكت أيمانكم » وهو يعني بهذا انه اذا كانت الشريعة الاسلامية قد قبلت الــرق في عصرهــا الأول ، وجعلت للرق احكاما ، فانه وقد زال الرق فيهذا العصر ، فان هذه الأحكام قد نسخت ، ولم يعد لها مكان فــى الشريعة الاسلامية . .فاذا قــال هذا المفتى بان قطع يد السارق لم يعد له مكان اليوم فى دنيــا الحضــارة والمدنيــة ، فقــد لزم الشريعــة الاسلامية أن ترفعه من أحكامها ، وان تاخذ السارق بما تاخذه بــه حضارة العصر ومدنيته !!

يا سبحان الله !! اهكذا يتبــدل هذا القانون السماوي ، الذي وضعه احكم الحاكمين ، رب العالمين ، كما تتبدل القوانين الوضــعية ، حسب ملابسات العــصر وظروفه ؟ ان ما يتلـــى فيكتــاب الله سيظل يتلى الـــى يــوم القيامة ، وان ما يحمل القرآن الكريم من أحكام ستظل عاملة فى الحياة الى يوم القيامة ، مهمــا تبدلت احوال الحياة ، وتغــيرت ظروف الناس .

ونسال هـــذا المفتى : ما هى الرخصة في علمه هذا الذى استخرج منه فتواه ؟

وندع ما يقوله المفتي في هذا ، لنقول له : ان الرخصة لا تكون فــى العقوبات البدنية ، وفى اقامة حدود الله على العصاة ، وانما يكــون التعزير بالجلد ، أو الحبــس ، أو الزجر ، كما يقول الرسول الكريم فيما يرويه الترمذي : « ادرءوا الحــدود عن المسلمين ما استطعتم .. » أما الرخصة فتكون في العبادات ، وفــى المطاعم ، للتخفيف ، لا للتشديد ، كرخصة الافطار للصائم ، فى سفر او مرض ، وكرخصة التيمم للمريض او المسافر ، وكرخصة أكل الميتة لمن لا يجد طعاما .. ونحو هــذا مما رفع به الله تعالى عن المسلمين الحرج ..

افيصح — مع هذا — القول بان قطع يد السارق كان رخصــة من الرخص ؟ وهل قطع يد السارق يعد رخصة — على اى مفهوم — اذا كان السجن هو الأصل ؟ وهل الرخصة ملزمة للمسلم ان ياخذ بها ؟ انهــا ما سميت رخصة الا لانها ترخص فى امر ملزم ، ان شاء المسلم اخذ بها ، وان شاء ترك ، وان كان من الأفضل الأخذ بها ، لانها رحمة من رحمــة الله ، والرسول الكريم يقول : « ان اللــه تعالى يحــب ان تؤتى رخصه كما يجب ان تؤتى عزائمــه » رواه احمد والبيهقــي عن ابن عمر هذه واحدة :

واخرى ، هل يصح أن يفتي فــى قضايا الاسلام من لا يعرف الرخصة ، ولا يفرق بينها وبين العزيمة ؟

وثالثة : اذا قام لهذا المفتي عــذر « لجهله بالشريعة الاسلامية » — افيجوز له ان يجهل تاريخ الفتــرة الأولى للدعوة الاسلامية التى هزت اركان العالم كلــه ، وكانت مبــدأ لتاريخ جديد ؟ ثم اذا جاز له ان يجهل تاريخ هذه الفترة المشرقة من الحياة ، ايليق به ان يجهل الأوليات مــن الطبيعة البشرية ، منذ قــام للبشر وجود اجتماعي ؟ ان هذا المفتي في كل شيء ، يقول بلسان العالم بكل شيء : « فى الزمن الأول لــميكــن

هناك سجون ، يودع فيها المسجونون .. ونقول لهذا العالم بكل شيء : هل خلا مجتمع بشرى فى اى زمان وفي اى مكان من السجون ؟ أم ان هذا العالم حسب العرب أمة لا تنتمي الى عالم البشر ، ولا تعيش عيشة الآدميين ؟ أم انه ظن ان العرب لا يستطيعون بحولهم وحيلتهم ان يقيموا سجنا ؟ ان ايسر شيء عليهم أن يتخذوا من كهوف الجبال سجونا والكهوف ـ بحمد الله ـ كثيرة في الجبال ، تشرف عليهم من كل مكان !

واذا لم يكن العرب فى جاهليتهم ـ وهذا مستحيل ـ لم يسمعوا عن السجون ، فقد تحدث بها القرآن الكريم اليهم في مواضع كثيرة منها ، وكشف لهم عن الوظيفة التى لها ، وانها مهيأة لعقاب من يرى الحاكم عقابهم بالحبس فيها ، فيقول تعالى على لسان امرأة العزيز تتوعد يوسف بالسجن : (ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين) يوسف /٣٢ .

ويقول سبحانه على لسان يوسف متحديا هذا الوعيد : (رب السجن احب الى مما يدعونني اليه) يوسف /٣٣ .

ويقول جل شأنه عن يوسف وقد دخل السجن : (ودخل معه السجن فتيان) يوسف /٣٦ .

ونسأل : الم يعرف المسلمون من هذه الآيات : ما هو السجن ؟ وما وظيفته ؟ اظن لا احد ينكر هذا ، حتى ولا هذا المفتى نفسه ، بعد ان استمع الى هذه الآيات ..

واذا كان ذلك كذلك ، فهل اذا كان من حكم الله تعالى فى السارق ان يسجن ، ايعدل الله تعالى عن هذا الحكم الى قطع يد السارق ، لأن العرب قوم أعجز من أن يقيموا سجنا ، ويجعل هذا القطع رخصة الى ان يخطوا فى حياة الانسانية خطوات يستطيعون معها اقامة السجون ، فيتحولون من حكم القطع الى السجن !

ونسأل مرة بعد مرة : وأين كان يضع المسلمون في عهد النبوة من يقع ليدهم من الأسرى ؟ اكانوا يقطعون ايديهم ؟ أم كانوا يقتلونهم تخلصا منهم لانهم لا يجدون الوسيلة التى يحتجزونهم بها ..

ويذكرني هذا بطريفة من طرائف العرب ، لا أرى بأسا من ايرادها فى هذا المقام ، للتسرية والترفيه ، لما تضيق به الصدور من العبث بالشريعة الاسلامية ، والتلهى بأحكامها ..

تقول هذه الطريفة : ان رجلا اسمه هبنقة ، كان يضرب به المثل في العى والبلادة ، وكان له جواد يركبه ، فترصده بعض العابثين به ، وقال له : ما اسم جوادك هذا ؟ فقال : ليس له اسم ! فقيل له : ان صاحب اى جواد يطلق اسما على جواده ، ولا يصح أن يكون جوادك من غير اسم ففكر طويلا في الاسم الذي يختاره لجواده ، ولما اعياه ذلك ، أخذ سهما من جعبته ، وغرسه فى عين الجواد ، فذهبت عينه ، وعندها صاح فرحا : سميته الأعور !!

ونعود الى هبنقة العصر ، الذى فقأ عين الشريعة الاسلامية ، بهذا السهم الطائش الذى رماها به ، ونقول له : ان التاريخ الاسلامي ، يسجل ان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حبس الشاعر الهجاء ، الحطيئة ، عقابا لهعلى هجائه مسلما من المسلمين ، هو الزبرقان بن بدر ،

بايعاز من أبناء عمومته الذين نفسوا عليه مكانته بين العرب .. فلما طال حبس الحطيئة بعث الى عمر بن الخطاب أبياتا يستعطفه فيها ، لصغاره الذين خلفهم وراءه ... يقول الحطيئة :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
القيت كاسبهم في قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فرق عمر للصبية ، وأطلقه ، بعد ان أخذ العهد عليه بالا يهجو احدا ، واعطاه من بيت المال ما يغنيه عن اتخاذ الهجاء حرفة للكسب !!

فاذا كان عمر قد هيأ سجنا للعصاة والخارجين على حدود الله ، فهل ابطل عمر قطع اليد للسارق ، وجعل الحبس عقابا للسارق ، أم ان عمر — رضى الله عنه — لم يفهم النص القرآني كما فهمه عالم العصر ومفتيه ؟

ثم كيف تمضي الحال بالمسلمين ، فى أزهى عصورهم ، وللسجون مكانها فى كل مصر ، وفى كل ولاية ، وهناك ائمة الشريعة ومن بينهم الائمة الاربعة ، ولم يفكر احد فى هذه القضية ، ولم يشر اليها من قريب او من بعيد ؟ اكانت من القضايا التي لا تجد العقل الذي يفهمها ، ويقضي فيها ، حتى يجيء مفتى العصر وعالمه .. ؟

واعجب العجب من علم هذا العالم قوله : « وأما والمجتمع الاسلامى اليوم قد تحضر ، واصبح قادرا على اقامة سجون (!!) اصبحت هذه الرخصة — رخصة قطع يد السارق — كرخصة : « وما ملكت أيمانكم » .

اى وربى ، هكذا نطق هذا العالم ، بتلك الحكمة العالية .. !! المجتمع الاسلامى اليوم قد تحضر ، واصبح قادرا على اقامة السجون .. !! فمقياس الحضارة للعالم الاسلامى اليوم انه اصبح قادرا على اقامة السجون .. !!

يا سبحان الله !! اهذا مقياس الحضارة ؟ اذن فان اكثر الامم تخلفا اليوم هي اكثرها حضارة ومدنية ، اذا كانت اكثرها سجونا ، واقدرها على الافتنان في صورها واشكالها ، ووسائل الحراسة عليها .

وندع هذا الى قضية اخرى ، جعلها هذا المتعالم شاهدا يشهد لما يفتى به من نسخ حكم الله بقطع يد السارق ، وجعل السجن هو الحكم الذى اراده الله حين تتهيأ اسبابه ، ويدخل المسلمون فى عصر الحضارة ، ويصبح فى مقدورهم اقامة السجون .. !! يقول هذا المتعالم المتحضر : « اصبحت هذه الرخصة — رخصة قطع يد السارق — كرخصة : (وما ملكت أيمانكم) » .. !!

وهو يعني بهذا ، انه وقد افتى بنسخ قطع يد السارق ، وقد دخل المسلمون في عصر الحضارة ، واقاموا السجون ، فان الأمر في هذا لا يعدو ان يكون كما نسخ حكم الرق ، بعد ان لم يعد للرق وجود فى هذا العصر !!

وتلك ضلالة من ضلالات هذا المتهجم على شريعة الله ، لا تقل شناعة فى العبث بكتاب الله عن سابقتها ..

ونسأل : اذا صح ان الرق قد الغى في هذا العصر — مع ان شواهد كثيرة لا تزال قائمة على انه لا يزال موجودا بابشع صورة ترزح تحتها شعوب بأسرها — اهناك ضمان موثق بأن الحياة لا تلد يوما

مثل هذه الصورة من الرق التي كانت شائعة في شتى آفاق العالــم كله ؟

ان الاسلام حريص على أن تختفي كل صور الرق والاستعباد الــى الأبد ، ولكن اذا عاد الرق يومــا ما .. ماذا يكون موقف الاســلام والمسلمين منه ؟ واذا دخل المسلمون فــي حــرب مــع اعدائهــم ووقع منهـــم اسرى فــي ايدي أعدائهــم ، ثم اجرى عليهــم هؤلاء الأعداء حكم الرقيق ، فمــاذا يفعل المسلمون في الأسرى الــذين وقعوا في ايديهم ؟ الا يكون من حــق المسلمين أن يعاملوا العدو بمثــل ما يعاملهم به ، ويحاربوه بالســلاح الذي يحاربهم به ؟ ذلك ما يقضى به الواقع اذا كان للمسلمين ان يحتفظوا بمكانهم ومكانتهم في دنيا الناس !

واذن فيعود المسلمون الى حكــم الله فيما شرعه للرقيق الذي يقــع ليدهم ، وأن تكون الآية : « وما ملكت ايمانكم » وغيرها من الآيات الواردة في احكام الرقيق ، دستورا قائمــا يلزمهم الأخذ به والاحتكام اليه .

واذن مرة أخرى ، فأحكام الرقيق في الاسلام قائمة بما نطق به القرآن الكريم ، تنفذ حين تقوم دواعيها .. حكمها في هذا حكم قطع يد السارق ، وجلد الزاني ، أو رجمه .. فاذا لــم يكن ثمة سارق ، فلا قطع ، واذا لم يكن ثمة زان فلا جلد ولا رجم ! كذلك حكم الرقيق ، قائم اذا جدت ظروف وعاد فيها الرق بأية صورة من صوره .. فاذا لم يكن ثمة رقيق فلا استعمال لأحكامه ، لأنها لا تستعمل لغــير موجود !

أن القول في كتاب الله ، وفي شريعــة الله بالرأي ، حتى نلبس بذلك ثوب المدنية والحضارة ، هــو الداء الذي يخامر كثيرا من العقــول التي فتنت بحضارة الغرب ومدنيته ، حيث يصور لها الوهم انه من اليسير علينا أن نجاري الحضارة الغربية ، اذا نحن حذفنا هذه الآية أو تلــك من كتاب الله ، أو لوينا عنقها لتأخذ وجهتها مع تلك الحضارة ، تماما كما يقع في وهم اصحاب هذه العقــول المريضــة ، انهــم اذا تزيــوا بزي الأوروبيين ، وجلبوا الى دورهم كل مستحدثات الصناعــة الغربيــة ، أصبحوا من أهل الحضارة ، واندمجوا في أهلها ، وليس في عقولهم شيء مما عند القوم من علوم ، ولا في قلوبهم شيء من دين الله .

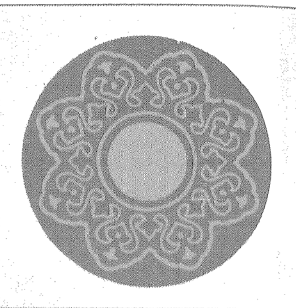
واحدة من اثنتين في موقفنا اليوم من حضارة الغرب ومدنيته : اما أن نكون مؤمنين بالله ، واثقين بأن بين ايدينا كلمات الله ، معتقدين أنهــا دستور الله الذي رسمه لنــا لعز الدنيا ، وسعادة الآخرة .. واذن فلنتحرك على هدى هذا الدين ، ونبني حياتنا على قواعد راسخة من الجد والعمل ، ونقيم حضارة زاهية من معطيات عقولنا وقلوبنا ، التي ارتوت من ينابيع هذا الدين ، واستضاءت بأنواره .. واما أن يدع من يشاء منا هذا الدين ليلحق بأي ركب يشاء ، فذلك اسلم لنا ــ في دنيانا وآخرانا ــ من أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض ، وحتى لا نخدع انفسنا ، ولا نخدع لغيرنا بأننا مسلمون نحتكم الى دين الله ، ونقيم شريعته ، فقد يأذن الله لنا يوما أن نقيم حضارة غــير مستعارة ، نلبس لها اثوابا من نسيج ديننا ، ومن صبغة شريعتنــا .. (لله الأمر من قبــل ومن بعد) الروم/٤ (والله غالب علــى أمره ولكن اكثر النــاس لا يعلمون) يوسف/٢١ .



للأستاذ يوسف المعظم

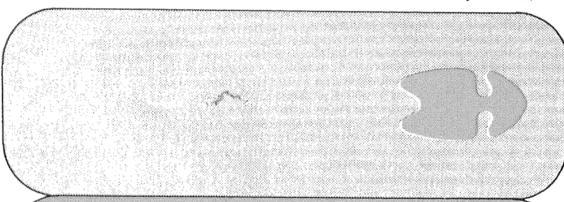
في حمى البيت العتيق

رب هب لي من فيض نورك نورا ... واهتك الله عن فؤادي الستورا
والن رب ما قسا من فؤادي ... فلقاء الحبيب يشفي الصدورا
فى حمى بيتك العتيق تعالت ... تلبيات تعانق التكبيرا
تنشد الحب والسلام وترجو ... ان ينال الجميع عفوا كبيرا
والحمامات فى رحابك تاوى ... آمنات فكيف القى نفورا ؟
يا الهي ويا مجير الحيارى ... من ضلال اكرم بربي مجيرا !
فاذا اسودت الوجوه الهي ... جئت ارجوك نضرة وسرورا
واذا صارت الجحيم مقاما ... رحت ارجوك جنة وحريرا
واذا غصت الحلوق بكاس ... رب هب لي من الشراب طهورا



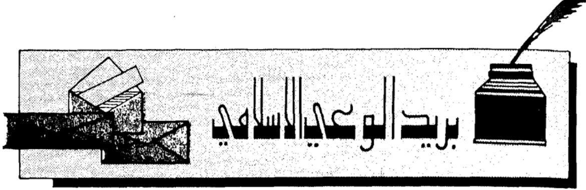
ضراعة عند زمزم ...

لبثت خطاياي في زمزم   وليت بالقلب غسل الغم
وطفت وفي اضلعي حرقة   تسبح لله عبر الندم
وقبلت ما قبل المصطفى   سلام على ثغرك المبتسم
يحدث بالحق عف الحديث   ويهتف بالمنطق الملهم
سلام عليك نبي الهدى   طهور الثرى عاطر الاعظم
حملت الإمانة لا تنثني   ورويت بالنور قلب الظمي
وجاهدت في الله حق الجهاد   وقدت السرايا ولم تحجم
وايقظتنا من رقاد القرون   وعلمتنا عزة المسلم
فكانت لنا الصافنات الجياد   نصول على الظالم المجرم
وكانت لنا عزة المؤمنين   نباهي بها هامة الأنجم
فمالنا دهانا لنرضى الهوان   اناخ على النفس في جاثم ؟
يلوث بالرجس ساحاتها   ويختال في ليلها المظلم
رسول الهدى لو تبعنا خطاك   وكنا مع الله لم نهزم !



في رحاب منى

رجمت ابليس في نفسي ووجداني / ورحت اطرد بالتنزيل شيطاني
وعدت اقطع عهدا لست اخلفه / بان اكون لاسلامي وايماني
ارتل الذكر عل الذكر يحفظني / من الخطايا ويحميني ويرعاني
استرحم الله فى افياء كعبته / واسال الله فى سرى واعلاني
بان يمن على نفسي بهداتها / حتى امزق بالطاعات عصياني
يا مسجد الخيف في افيائك انطلقت / ترتيلة الحق من آيات قرآن
وفى حماك رسول الله هامته / غراء كالصبح لا تعنو لطغيان
فى كل حبة رمل منك ماثرة / وكل نسمة حب منك تلقاني
كتيبة الله قد حطت بساحته / تسمو بسلمان او تزهو بعثمان
يا مسجد الخيف فى الاقصى احبتنا / وفى الخليل وفي حيفا وبيسان
تهفو قلوبهم للزحف منطلقا / يحرر القدس من ظلم وعدوان
وراية الحق تعلو في مرابعنا / تطهر القدس من رجس واوثان
وتمسح العار من ساحاتمسجدها / وتغرس المجد فيها بالدم القاني
لقد اثرت دموع الشوق والهفي / يامسجد الخيف مذ حركتاشجاني



اعـــداد : عبد الحميد رياض

البيت الحرام ..

البيت الحرام موجود قبل الاسلام .. فمن بناه وهل كان بناؤه للعبادة .. ؟
احمد محمد السيد ـــ بغداد

ان البيت الحرام اول بيت خصص للعبادة ، وكل الآثار تدل على ذلك ، فقد جعله الله مباركا وهدى للعالمين منذ القدم .

ولهذا البيت فضائل جمة ، فمن دخله كان آمنا ، ولم ينل هذا الفضل اى مكان آخر فى الأرض .

وقد كانت له هذه المنزلة فى جاهلية العرب مع انحرافهم وكفرهم وبعدهم عن التوحيد ، يقول الحسن البصرى رضي الله عنه : « كان الرجل يقتل فيضع فى عنقه صوفة ويدخل الحرم فيلقاه ابن المقتول فلا يهيجه حتى يخرج » يدل ذلك على تكريم الله لبيته وتكريم الناس له ، مع العلم إن المحيطين به كفار ويذكرهم الله بنعمته عليهم فيقول : **(أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم)** وقد حرم الله اصطياد طيره وحرم قطع شجره .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة « ان هذا بلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض وهـــو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة وانه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاها الا الأذخر » متفق عليه .

ومكة بلاد عزيزة على المسلمين بسببه والرسول يقول فيها : والله انك لأحب بلاد الله الي ولولا ان قومك أخرجونى منك ما خرجت ، وقد وردت آثار تدل على ان بناء الكعبة المشرفة تم عشر مرات فى أزمان مختلفـــة وظروف مختلفة ، بنته الملائكة اى قبل سيدنا آدم عليه السلام يفهم هـــذا من قول الله سبحانه وتعالى : **(ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا)** . وسيدنا آدم من الناس ، والآية كذلك تشير الى أن البيت الحرام قد وضع للناس الذين تناسلوا من سيدنا آدم ، كذلك يدل على هذا المعنى قول الله سبحانه حكاية عن سيدنا ابراهيم :

﴿ واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام • رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم • ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ . فقد فهم من الآية الكريمة ان البيت الحرام كان معروفا قبل سيدنا ابراهيم ، ومعروف كذلك ان سيدنا اسماعيل كان فى هذه الفترة طفلا ، ثم تأتى آيات أخرى من القرآن الكريم فى حكاية عن رفع سيدنا ابراهيم لقواعد البيت الحرام الذى كان موجودا قبله . يقول الله سبحانه : **﴿ واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ﴾** وذلك بعد ان اصبح سيدنا اسماعيل يستطيع معاونة ابيه فى البناء .

وبعد ان بنته الملائكة بناه سيدنا آدم ، ثم بناه ابناؤه ، ثم رفع قواعده الخليل كما قد وضح سابقا ، وبنته العمالقة ، وبنته جرهم ، وبناه قصي ابن كلاب ، وبنته قريش ، وذلك مشهور معروف ، فقد حدث بعد أن تم البناء ان اختلفت قريش فيمن ينال الفضل ، ويضع الحجر الأسود فى مكانه ، وكادت تكون فتنة ، ويحدث قتال بينهم ، وهداهم التفكير أن يحكموا اول داخل عليهم فى ذلك ، فكان الأمين صلى الله عليه وسلم قبل البعثة أول داخل ، وقد تصرف فى هذا المقام تصرفا يدل على رجاحة عقل ، فقد وضع الحجر الأسود فى ردائه ، وامر كل فريق أن يحمل من طرف ، ثم لما صاروا الى مكانه وضعه بيده الشريفة وانتهى بذلك الخلاف .

وبناه عبد الله بن الزبير ، وذلك بعد ان اخبرته ام المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يشير الى أن بناء قريش قد اغفل حجر ابراهيم ، فبناه رضي الله عنه ، كما اشار الحديث الشريف : « لولا ان الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندى من النفقة ما يقوى على بنيانه لكنت ادخلت فيه من الحجر خمسة اذرع ولجعلت لها بابا يدخل الناس وبابا يخرج منه » رواه مسلم . وذلك مدة خلافته على بعض الأمصار الاسلامية ، وفيها مكة وبعد أن قتل ودخل مكة جيش الحجاج بن يوسف الثقفى عامل عبد الملك بن مروان اعيدت الى ما كانت عليه أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم أراد المهدى من خلفاء العباسيين هدم الكعبة واعادة بنائها ، ولكن الامام مالك نصحه بعدم فعل ذلك خوفا من ان تصير العوبة لكل من يستطيع هدمها وبناءها فيذهب وقارها من النفوس ، وظلت على حالها بعد الحجاج .

وحقق الحافظ ابن كثير وغيره أن اول من اقام قواعد البيت الحرام هو سيدنا ابراهيم وابنه سيدنا اسماعيل عليهما السلام ، واستدل على ذلك بقول الله سبحانه : **﴿ واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ﴾** .

وقد روى عن الامام على كرم الله وجهه ان الله ارشد سيدنا ابراهيم الى مكانه بوحى من الله عز وجل .

والأمل ان يأخذ هذا البيت مكانه اللائق به فى نفوس المسلمين ، ويحفظوا قدره ، ويعوا منزلته ، ويحرصوا كل الحرص على الاتيان اليه متى كان ذلك فى استطاعتهم ، وان يكون طوافهم حوله عامل تذكير بدينهم ، وحافزا قويا يدفعهم الى العمل الدائب على احياء اركان اسلامهم كلها ، مع ايمان صادق بحاجتهم لذلك ، ويقين لا يخالجه شك ان عزهم ، وقوتهم تستمد من تمسكهم بشعائر دينهم .

اقوال شائعة ليست من الوارد

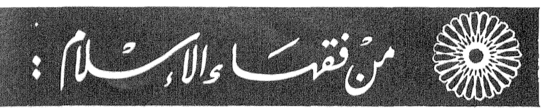
(يوم صومكم يوم نحركم) .. يتناقل الناس هذا النص على أنه حديث .. ما مدى صحة ذلك وما الوسائل الى معرفة الحديث الصحيح .. ؟

صلاح مساهل ــ مدرسة ابن زيدون/الكويت

(يوم صومكم يوم نحركم) وفى لفظ (يوم راس سنتكم) لا اصل له كما قال الامام احمد وغيره كالزركشي والسيوطى واغفله السخاوى . وجاء هذا النفى فى الجزء الثانى من كشف الخفاء ومزيل الالباس عما يدور من الاحاديث على السنة الناس للعجلونى .

ونقول ان هذا النص ومثله كثير يشكل نسبة من الاقاويل المسيئة الكاذبة المغرضة التى لا اصل لها ، ولا تعنى غير الصاق التهم وارادة التهجم على النصوص الثابتة من خلال نص متداع مثل هذا او غيره فلو تمكن هذا من نفوس الناس امكن أن يكون هناك فجوة عميقة لا يظهر فيها الا كل ردىء وفاحش من القول ، وقد تصدى لدحض هذه المفتريات علماء اجلاء تركوا اسسا سليمة تثبت سلامة السند والمتن ، ليظل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصونا من العبث ، ولتظل السنة محفوظة لا ينال منها العبث والعابثون مبتغاهم .

ونؤكد للأستاذ ، ان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم دون بعناية فائقة ، وقد وفق الله لهذه الغاية النبيلة من كان اهلا لها ، فكشف الزيف ، وشدد على الصحيح بحرص شديد ، وتلق سليم ونقل دقيق ، قد اتسم بالاخلاص لسنة سيد الخلق من اقوال وافعال وتقريرات ، حتى بدت بيضاء نقية ، وكان أمل هؤلاء العلماء الأجلاء المحافظة على المصدر الثانى للتشريع من الدس والدخيل حتى لا نضل ، وحتى تخرج الأعمال مرتكزة على سند صحيح من السنة بعد كتاب الله ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « تركت فيكم ما ان اتبعتموه لن تضلوا بعدى : كتاب الله وسنتي » .



الإمام مالك بين التعلم والتعليم

للأستاذ : عبد الغنى احمد ناجى

مما لا شك فيه أن الفقيه المجتهد رائد فى ميدان التفقه والاستنباط ، وهذه حقيقة يدعمها ما قدمه فقهاؤنا الاجلاء من آراء واحكام فقهية ، لحل مشاكل الحياة فى ضوء تعاليم الدين الحنيف . وقد كتب الكثيرون من المؤلفين حول اجتهاد الفقهاء وحيواتهم ، ولكن أحدا من الكاتبين لم يخصص مقالا ، او كتابا فى تجلية النهج التربوى الذى سلكه الائمة الفضلاء فى اخذ العلم عن مشايخهم ، واعطائه لتلاميذهم ، وقد دفعتنى رغبتى فى قراءة مثل هذا المقال او الكتاب — الى ان أقرأ عن امام دار الهجرة (مالك بن أنس) رضي الله تعالى عنه لاقف وقفات طويلة او قصيرة عند الجانب التربوى فى تعلمه وتعليمه ، ذلك الجانب الذى لا يقل اهمية فى ضرورة الاقتداء ، والاحتذاء لنهج هذا الامام العظيم ، واذا كان فقه اى امام — وهو مجموع ما استنبطه وارتآه — ميدان اقتداء للخاصة والعامة ، فان نهجه التعليمى والتعلمى مجال احتذاء لطائفة من الخاصة ممثلة فى الاستاذ والتلميذ ، ولا ابعد اذا قررت اننى اخص بهذا المقال كل استاذ وتلميذ ، لافتا نظريهما الى النهج التربوى الأمثل الذى سار عليه الامام مالك فى تعلمه وتعليمه .

ولنبدأ — اتباعا للترتيب الزمنى — بالحديث عن تعلمه ، وفى هذا المجال يجدر الاستهلال بتبيين احوال اسرته ، وبخاصه فى نواحى الثقافة

والمسلم ، فلقد جاء في شرح الزرقاني للموطأ : ان مالكا نشأ في بيت اشتغل بعلم الحديث ، واستطلاع الآثار ، واخبار الصحابة، وفتاويهم ، فجده « مالك بن أبي عامر » كان من كبار التابعين وعلمائهم . ولقد اقبل اخوه «النضر» على مجالس العلماء يأخذ عنهم حتى اصبح مالك لشهرة اخيه يعرف بأنه اخو النضر ، فلما ذاع أمر مالك في مجال العلم والتلقي صار اخوه « النضر » يعرف بأنه أخو «مالك» ، رضي الله تعالى عنهما .

هذه البيئة الخاصة بما كان فيها من نزوع الى العلم وثقافة العصر دفعت بمالك منذ صغره الى هذا الميدان الشريف ، ليعد نفسه لاجل ما خلق لهالبشر ، للتفقه والاجتهاد : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » رواه البخاري ومسلم وابن ماجه ، وقد تضافرت بيئته العامة (المدينة) مع بيئته الخاصة (الأسرة) في انجاحه وابلاغه ما صبا اليه ، وتحقيق ما خططه لنفسه ، فبيئته العامة هي مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومهاجره الذي هاجر اليه ، وهي موطن الشرع ، ومبعث النور ، وموئل الحكم الاسلامي الأول في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلفائه الراشدين من بعده ، ولقد نشأ مالك بها وهي مهد السنن ، وموطن الفتاوى المأثورة لاجتماع الرعيل الاول من علماء الصحابة بها ، ثم تلاميذهم من بعدهم ، حتى لقد كان عمر بن عبد العزيز (رضي الله تعالى عنه) يكتب الى الأمصار يعلمهم السنن والفقه ، ويكتب الى اهل المدينة يسألهم عما مضى ، ويعمل بما عندهم . وكتب الى أبي بكر بن حزم ان يجمع له السنن ، ويكتب بها اليه .

جاء مالك فوجد هذا الرصيد الضخم من العلم والحديث والفتاوى فنهل منه ، وجنى اطيب ثمراته ، واعاده لمن بعده رحيقا حلوا ، وزادا طيبا .

ولقد اتجه مالك — وهو يخطو اولى خطواته العلمية — الى حفظ القرآن الكريم شأن غيره من تلاميذ عصره ، وبعد حفظه للقرآن هم بأن يجمع اليه حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكلم امه في ذلك . فاعجبت به ، ودعت له ، ثم عممته ، والبسته احسن الثياب ، وقالت له : « **اذهب فاكتب الآن** » ، وكانت تقول : « **اذهب الى ربيعة فتعلم علمه قبل ادبه** » ، ومن هذا القول الذي حرضته به امه ، ندرك بالغ حرصها على ان يتعلم ابنها العلم النافع ، حتى انها طلبت منه ان يكرس جهده لتعلم العلم ضاربا صفحا عن الأدب ، وكأني بها حينئذ تتعهد بتأديبه في البيت ، أما العلم فلا يجدي فيه سوى الذهاب الى حلق الدرس ، ولقد دفعها هذا الحرص ايضا الى ان تبيح له التردد على مجالس العلم وهو حدث

صغير ، فلقد قال بعض معاصريه : **« رأيت مالكا فى حلقة ربيعة وفى أذنه شنف** ــ والشنف بوزن فلس : القرط الأعلى » ، هذا دور أمه فى العناية به ، وتعهده بتهيئة سبل العلم وحثه على طلبه ، اما دوره هو فقد تجلى فى صورة فذة من افراغ اقصى الجهد والطاقة فى سبيل الدرس والتحصيل ، ومعالجة كل الأبواب المفضية الى درجات العلم مهما كلفه ذلك من مشقة وعنت ، فلقد كان منذ صغره حريصا على حفظ حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ واستظهاره ، ولقد دفعه ذلك الحرص أو الشغف بطلب العلم ــ أن يحرم نفسه الراحة بعد الدرس . ينصرف الشيخ والتلاميذ الى بيوتهم ، للاستجمام والراحة ، ومالك يذهب الى ظلال الاشجار ، يستعيد ما تلقى ، ولقد راته أخته كذلك فذكرته لأبيها ، فقال لها : **« يا بنية ، انه يحفظ أحاديث رسول الله صلى اللهعليه وسلم »** ، ولقد حدث عن نفسه مصورا جانبا من تجشمه المتاعب المستعذبة فى سبيل تحصيل العلم ، يقول : « كنت آتى نافعا نصف النهار وما تظلنى الشجرة من الشمس ، اتحين خروجه ، فاذا خرج أدعه ساعة ــ كأنى لم أره ــ ثم أتعرض له ، فأسلم عليه ، وأدعه ، حتى اذا دخل أقول له : **« كيف قال ابن عمر** فى كذا ، وكذا ، فيجيبنى، ثم أحبس **عنه ، وكان فيه حدة »** .

وانى لاتخيل مالكا وهو بعد غض صغير من خلال هذا الخبر ، اتخيله نشطا طروبا لتلقى العلم ، يحتال لاقتناص مسائله ، ولكن فى ادب جم ، وتقدير كبير لمشايخه الفضلاء ، فهو يحمل الواحه وقراطيسه ، ويتحين خروج الشيخ ، حتى اذا خرج لا يهجم عليه ، وانما يدعه ساعة حتى يستوى فى مجلسه ، ويعد نفسه للتدريس والالقاء ، وحينئذ يعرض له فيسلم عليه سلام التلميذ لأستاذه ، ثم يبدأ فى طرح اسئلته واستيضاحاته ، ولا يكثر ، اذ ينصرف قبل أن يثقل على شيخه .

واقف هنا لأقول : ليت كل تلميذ من ابنائنا اليوم يطلع على نهج الامام العظيم في تقديره لأساتذته ، وطريقة تلقيه عنهم .

ولقد دفعه حرصه البالغ على تلقى العلم الى أن يتحين الأوقات التى تكون مظنة الهدوء من ضوضاء السائلين ، وصخب الدارسين ، فيذهب فيها الى شيوخه ، وان كان فى ذلك ارهاق له ، أو لاقى فى سبيله اللوم والحرج ، اذ الهدف من السمو بحيث يهون فى الوصول اليه آلام النفس والجسد معا ، يقول مالك : « شهدت العيد ، فقلت هذا يوم يخلو فيه ابن شهاب ، فانصرفت من المصلى حتى جلست على بابه »، فسمعته يقوللجاريته : « انظرى من بالباب » فنظرت فسمعتها تقول : **« مولاك الأشقر مالك ، قال : ادخليه ، فدخلت ، قال : هل اكلت شيئا ؟ قلت : لا ، قال : أطعم ، قلت : لا حاجة لى فيه ، قال : فما تريد ؟ قلت : تحدثنى ، قال لى : هات ، فاخرجت الواحى ، فحدثنى باربعين حديثا ، فقلت زدنى، قال : حسبك .. »** .

ومن هذه الأخبار التى حدث بها

مالك عن نفسه نستشف استعذابه هذه المشاق والآلام فى سبيل تحصيل العلم الذى ابتغاه ، وهو استعذاب يحسه كل من سار في طرائق العلم تحدوه الرغبة الصادقة فى تحصيله، والأمل الكبير فى توصيله ، لبلوغ المنزلة التى اعدها الله لعبساده العلماء ، ولا ينتهى الاعجاب بما تحمل الصبى مالك فى سبيل العلم من جهد مضن حرمه لذة الراحة ، ومنعه الهدوء ــ حتى يشفعه باعجاب بتضحيات مالك فى هذا المجال ، حتى انه لم يدخر وسعا من مال فى سبيل العلم ، كما لم يدخر جهدا من قبل ، فلقد قال ابن القاسم « افضى بمالك طلب العلم الى أن نقض سقف بيته فباع خشبه ، ثم مالت عليه الدنيا من بعد » !!

ولقد كان مالك يجمع الى حرصه البالغ على طلب العلم حبه المفرط لحديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتقديره الزائد للشيخ المحدث ، ومكان الحديث وزمنه ، وذلك ما نسميه بلغة عصرنا الحديث (احترام الحصة) وهو الذى ننشده من طلبتنا ، ولكن البون شاسع يتبلور فى اختلاف الدافع والباعث الى طلب العلم ، روى أن مالكا لازم منذ صباه الاحترام التام لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو لا يتلقاها الا وهو فى حال من الاستقرار والهدوء ، توقيرا لها ، وحرصا على ضبطها ، ولذلك ما كان يتلقاها واقفا ، ولا يتلقاها فى حال ضيق او اضطراب حتى لا يفوته شيء منها ، فلقد سئل اسمع عن عمرو بن دينار ، فقال : **« رأيته يحدث والناس قيام يكتبون، فكرهت أن اكتب حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وانا قائم »** .

ولقد جنح مالك الى ما يعرف فى عصرنا بالتخصص في الدراسة ، فتخصص بعد حفظه للقرآن الكريم ــ فى حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يكتبه ، ويحفظه، ويعيه فى احترام وتقدير لا يفوقهما سوى تقديسه لكتاب الله عز وجل ، ثم قام بما يشبه اعداد الرسائل الجامعية فى العصر الحديث ، فاذا كان اعداد الرسالة يتطلب مشرفا ينصرف الدارس له بالسؤال والاسترشاد فان مالكا انصرف الى شيخ بعينه فترة طويلة من الزمن بلغت الثمانى سنوات لا يتلقى الا منه ، وهو شيخه (هرمز) تلقى عنه الفقه والفتيا ، وطريقة الرد على اهل الأهواء ، ولقد تأثر مالك بمنهج هذا الشيخ فى الاجابة والفتيا ، فكان لا يتحرج من قول : « لا أدري » حينما يسأل عن امر لا يعلمه ، ولقد قال : **« سمعت ابن هرمز يقول : ينبغى أن يورث العالم جلساءه قول : « لا أدرى » حتى يكون ذلك اصلا فى ايديهم يفزعون اليه ، فاذا سئل احدهم عما لا يدرى قال : لا ادرى »** .

واذا كانت معاهد العلم فى العصر الحديث لا تبيح لدارس أن يلقى ما تلقاه الا بعد اختبار وامتحان للتأكد من صلاحيته ــ فان مالكا ــ رضي الله عنه ــ وقع تحت الاختبار من شيوخه حتى اجيز له التدريس ، فهو حينما ذهب الى ابن شهاب يوم العيد ، وسأله الحديث ، فحدثه بأربعين حديثا ، ثم استزاده مالك ،

فقال له الشيخ : حسبك، ثم أردف : **« .. ان كنت رويت هذه الأحاديث فأنت من الحفاظ »** قال مالـــك : **« قد رويتها ـ اى حفظتها ـ فجبذ الألواح من يدى ، ثم قال : حدث »** ، وهنا يبدأ الامتحان ، يقول مالك : **« فحدثته بها ، فرد الألواح الي ، وقال : قم فأنت من اوعية العلم »** .

هذه العبارة الأخيرة لا تخرج عن الشهادات العلمية التى تعطى للطلبة حينما يؤدون الامتحان ، ويحرزون النجاح ، فمالك حينئذ أعطى شهادة علمية ، ولكنه لم يكتف بها ، اذ انه حصل عليها دون النضوج المنشود ، ولما حصل له ذلك النضوج ، ونزعت نفسه الى الدرس والافتاء ، قـدم المؤهل العلمى الكبير الذى حصـل عليه ، وهو شهادة سـبعين من مشـايخه بصلاحيته للتـدريس والافتاء ، يقول مالك ـ رضي الله عنه ـ فى هذا المجال : **« ليس كل من احب أن يجلس للحديث والفتيا جلس حتى يشاور فيه أهل الصلاح والفضل والجهة من المسجد ، فان رأوه أهلا لذلك جلس ، وما جلست حتى شهد لى سبعون شيخا من أهل العلم أنى موضع لذلك »** .

أما سنه عند جلوسه للافتـــاء والتدريس فقد حدث فى تحـديدها اختلاف يمكن حسمه بأنه لم يجلس الا بعد أن نضج ، وبلغ مبـــلغ الرجال ، وهذا هو المقبول ، وغـير المقبول ان يكون قد جلس وهو فى السابعة عشرة من عمره ، وهـو قول بعض من اتبـــاعه المأخوذين بمواهبه وتفوقه ، والذين زعمـوا أنه مكث فى بطـــن أمه ثـلاث سنوات !! ، وربما يبعد جلوســه للتدريس فى هذه السن شـــهادة سبعين من الثقات له بصـــلاحيته للجلوس مجالس العلماء للافتاء ، اذ لا يمكن أن يجمع سبعون علــى اجازة حدث فى السابعة عشرة من عمره لهذا المجلس الخطير .

لقد جلس مالك للتعليم بعد أن نضج فكره ، واستوت حجتـــه ، وغزر ما حصل من مشايخه ، وانس من نفسه القدرة على الافتـــاء ، والتدريس ، ثم توج ذلك بشـهادة سبعين من الثقات ، جلس فــى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة ، فى المكـان الذى كان يجلس فيـــه عمر بن الخطاب للشورى والحكم ، والقضاء ليجمع الى التأثر بعمر فى فتـاويه واقضيته التى رواها ابن المسـيب وغيره .. تأثره به فى مجلســه ، والحال الحسنة توحى بأمور معنوية لا تنكر ، واختياره أماكن الصـحابة فى الدرس اسـتيحاء لعلمـــهم وتقواهم ـ دفعه الى اختيار أماكنهم فى السكن ، ربما للغرض نفسه ، فلقد كان يسكن دار عبـد الله بن مسعود ، جاء فى المدارك : **« كانت دار مالك بن انس التى ينزل بهـا بالمدينة هي دار عبد الله بن مسعود .. ولقد كان فى دروســـه يلتزم الوقار والسكينة ، والابتعاد عـن لغو القول ، وما لا يحسن بمثله ، وكان يقول : ينبغى لأهل العلم ان يخلوا انفسهم من المزاح ، وبخاصة اذا ذكروا العلم »** ، ويفهم من ذلك أنه كان يبيح المزاح خارج حلقـات الدرس ، أما فى الدرس فلا تكـون الا السكينة والوقار ، وهو بهـــذا يؤصل نظريات تربوية في التعليـم ،

فلقد اثبت التجريب ان الاستعداد للدرس بالسكينة والوقار ، واستجماع كل الحواس ــ من أهم عوامل النجاح فى تحصيل العلم ،

واذا كان المزاح لازما للترويح والتنفيس مخافة الملل فهو قد اباحه خارج الدرس ، والموازنة بين درس تحفه السكينة والوقار ، وآخر صفر منهما تبين صدق الرجل وبعد نظره ، ولقد قال احد تلاميذه فى هذا المجال : ((**كان مالك اذا جلس معنا كانه واحد منا ، يتبسط معنا فى الحديث ، وهو أشد تواضعا منا له ، فاذا اخذ فى الحديث (اى حديث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم) تهيبنا كلامه ، وكانه ما عرفنا ، ولا عرفناه**)) ، وقال الواقدى عن مجلس درسه : ((**كان مجلسه مجلس وقار وعلم ، وكان رجلا مهيبا نبيلا ، ليس فى مجلسه شيء من المراء ، واللغط ، ولا رفع صوت ..**)) .

وكان فى درسه يسلك ما يسمى فى التربية الحديثة بمراعاة الفروق الفردية ، فيروى عنه انه كان فى مجلس تدريسه فى بيته يأذن لأصحابه الذين لازموه ، وفهموا فقهه ونهجه ، ثم يصرفهم ويأذن للعامة، ليحدثهم ويجيبهم بما يتناسب مع ادراكهم ومحصولهم العلمى ، وكان فى موسم الحج يأذن لأهل المدينة ، فاذا انتهى من التحديث اليهم اذن للناس كافة ، وربما اذن لبعض الاقاليم ثم لغيرهم ، وكان رضي الله تعالى عنه لا يجيب الا عما يمكن وقوعه ، اما الامور الفرضية التى يستحيل وقوعها فكان لا يجيب السائل عنها ، ساله رجل عن مسألة فرضية فقال له : ((**سل عما يكون ، ودع ما لا يكون**)) ،واذا كرر السائل السؤال عن أمر فرضي فكان لا يجيبه تنبيها له الى أن السؤال ينبغى أن يكون عما ينتفع به ، والأمور الفرضية ــ فضلا عن كونها فى معظم الأحيان باعثة على الضحك ــ هى غير مجدية ، لتضييعها الجهد والوقت فيما لا طائل تحته . **لقد** سأله سائل في أمر فرضي ، فلم يجبه ، فقال له : ((**لم لا تجيبنى ؟ ، فقال : لو سألت عما ينتفع به لأجبتك**)) .

وكان يكثر من قول : (لا ادرى)، ويبتدىء اجابته بقوله : ((**ما شاء الله ، لا قوة الا بالله**)) ، ثم يعقب فتواه بقوله : ((**ان نظن الا ظنا ، وما نحن بمستيقنين**)) .

واذا كان التواضع ، وتحرى الحق، والاحتياط فى الاخبار والفتيا، والاعتراف بالعجز ، وعدم الدراية ــ أمورا لازمة ، وزائنة للعلماء ، فان مالكا بلغ فى ميدانها صميم الهدف بقوله : ((**لا أحسن**)) أى لا احسن الاجابة ــ لمن قال له : ((**يا ابا عبد الله ، تركت خلفى من يقول : ليس على وجه الأرض أعلم منك**)) .

وبعد ، فليت علماءنا الأجلاء بعامة ، ومن يتصدون منهم للتدريس بخاصة ــ ينهجون نهج امام دار الهجرة ــ رضي الله تعالى عنه ــ فى التعليم والافتاء ، وليت طلابنا الأعزاء يسلكون مسلك هذا الامام العظيم فى طلبه للعلم ، واحترامه للدرس ، وتقديره للأساتذة المعلمين، ليت هؤلاء وهؤلاء يجعلون الرجل مثلهم الأعلى ، حتى يحققوا الفوز المبتغى فى مجال العلم والتهذيب .



للاستاذ : محمد علم الديـن

هدف علم النفس فى الاسلام ، أن نحصل لانفسنا خلقا ، تصدر به عنا الأعمال كلها جميلة ، بحيث يكون ذلك سهلا علينا دون كلفة او مشقة .

والوسيلة لذلك ، فهم قوى النفس على النحو الذي مر ، ثم اتخاذ وسيلة صناعية وترتيب علمي للوصول الى ذلك .

والنفس اذا تـركت بدون صناعة وتهذيب كان فيها بدائية ، يصحبها عدم اتزان ، كالذي يغضب من أدنى شيء ، والذي يفزع من صفير الطائر أو يرتاع من خبر ، أو يفرطفي الضحك من شيء يسير ، ولكـن بالتـدريب والاستمرار والتخلـق ، تكتسـب النفس أخلاقا جديدة . وكل انسـان صالح لان يروض ويتخلق بخلق جديد مع تفاوت بين الناس في سرعـة الاستجابة وفي بطئها .

وبغض النظر عن قول من قال : ان الناس يولدون اخيارا ، ثم يأتيهم الشر من مخالطة الأشرار وتلبيـة شهوات الغريزة ، وعن قول من قال: ان الناس خلقوا من طين كدر ، فهم أشرار بالطبع ، ثم يصيرون أخيـاراً بالتربية والتعليم .. وعن قول مـن قال : ان الناس فيهم الخير بالطبـع والشرير بالطبع والمتوسط بين هذا وذاك ... فان المسلم به أن الناس مطبوعون علـى قبـول التخلـق ، والانتقال من خلق الى خلق بالتاديب

والمواعظ ، بسرعة او ببطء ، وهذا هو المختار ، وهو المشاهد بالعيان وعليه قام التأديب ، وقامت التربية وبخاصة للأحداث .

واذا كان كثير من الحيوان يقبل الترويض ، فان الانسان أكثر قابلية للتأديب ، مهما طال الزمن وتنوعت الاساليب دون يأس من الاصلاح . وهذا ميدان فسيح تلعب فيه ابتكارات اساليب التربية دورا كبيرا.

ومن المسلم به ان الطباع اذا اهمل تهذيبها ، وتركت زمنا طويلا صعب ترويضها وان لم يكن محالا . ولذلك وجب التبكير بالتربية والتأديب ، حيث الغرائز غضة ، والميول متذبذبة لم تستقر بعد .

كما أن من المسلم به ان الناس منذ الصغر يتفاوتون في استعداداتهم لقبول التأديب والنفور منه ، تفاوتا يكاد يكون بعدد الأفراد . ونرى الكبار بين أفضلهم وادونهم مراتب لا حد لها ، وبحق قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « تجدون الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا » (من حديث رواه البخاري ومسلم) .

كيف تترقى الأخلاق

ان جوهر الانسان من صنع الخالق اما تجويد هذا الجوهر فهو مفوض الى الانسان ومعلق بارادته .

ــ ولبلوغ الكمال على المرء ان يعلم أن الكمال كمالان : علمي وعملي .

والعلمي يتبع القوة العالمة ، والعملي يتبع القوة العاملة ، والقوة العالمة تشتاق الى العلوم والمعارف والنظريات والقوة العاملة تشتاق الى نظم الامور وترتيبها ، ــ واذا اكتمل للمرء كمال النظر وكمال العمل فقد ظفر بالسعادة التامة .

ــ ويكمل المرء علما اذا صار بالعلم صادق النظر ، نافذ البصيرة ناضج الراي ، مستقيم الرؤية ، لا يخطيء في اعتقاد ، ولا يشك في حقيقة ، ثم يترقى من العلم بالموجودات الى العلم بخالق الموجودات ، علما يجعله واثقا به، مطمئنا اليه قد ذهبت حيرته وانجلى مطلوبه الاخير .

ويكمل المرء عملا اذا كانت قوته العاملة قد تسامت قوة وفعلا ، بحيث تصدر الأفعال من القوة المميزة ، منتظمة مرتبة كما ينبغي .

ــ هذا والكمالان ضروريان ومتلازمان ، لا يتم احدهما الا بالآخر والكمال العلمي مبدأ والعملي تمام ، والمبدا بلا تمام ضائع ، والتمام بدون مبدأ محال ، وهذا الكمال غرض ينبغي ادراكه وابرازه .

وعلى المرء ان يبدأ بالعلم بالموجودات علما كليا ثم جزئيا ، قدر ما يستطيع ، حتى تكون صور الموجودات في ذات الانسان ممتزجة به ، فاذا تم له الجانب النظري ابرزه الى الوجود افعالا منتظمة بقوة التمييز .

وبهذا وذاك يصبح الفرد عالما صغيرا ، وخليفة لمولاه وخالقه ، ومنسجما مع كونه وقريبا منه ، ومستعدا لقبول فيوضاته ، ليس بينه وبين ربه حجاب وهذه هي مرتبة عليا وسعادة قصوى .

وكما سبق من أن الناس قابلة للترقي فمنطقي مع هذا أن كل انسان قابل لأن يصل الى درجة الكمالين ما دام يحاول الوصول اليهما ويتمم نقصه ولولا أنه مستعد لذلك ما كان انسانا ، بل كان حيوانا او نباتا ، فمآلها جميعا الى الفناء أما الانسان فمآله الخلود حيث النعيم لمن زكى نفسه والجحيم لمن دساها والذي لا يتصور ذلك وامكانه ويشك فيه

ينتقص من تركيبه الرباني ويستحق أن يسمى ملحداً! .

الكمال الانساني والسعادة :

يظن فريق من الناس أن كمال الانسان وسعادته وغايته في الحياة ، تكمن في ادراك لذاته الحسية ، وأن جميع قواه قد ركبت فيه من أجلها ، وأن عقله موجود ليرتب له ما يوصله الى هذه اللذات ، وادعوا أن لذات المآكل والمشارب والمناكح مطلوبة للبدن وانه يتشوق اليها ، وأن عليهم أن يعينوه على نيلها ، ولذلك فهم للذة يعيشون ، ولها يعملون ، وهؤلاء هم الجهلة والرعاع وسقط الناس ، الذين لا يهمهم في الدنيا الا اللذات الخسيسة وهؤلاء وامثالهم ينكرهم علماء النفس الاسلاميون ويرون :

١ ـ أن هذه اللذات الحسية يشارك الانسان فيها الخنافس والديدان والحشرات والهوام ...

٢ ـ أن هذه اللذات انما حدثت من آلام اضدادها : فلذة الطعام من ألم الجوع ولذعه ولذة الدفء ، والملبس من ألم البرد ، وهكذا تكون اللذات راحة من آلامه ، والمشتاق الى هذه اللذات يشتاق أولا الى الآلام ليجد اللذة ، ولو لم يجد الألم لم يجد اللذة .

٣ ـ من رضي أن تكون هذه اللذات غايته القصوى وهدفه الأسمى فقد جعل نفسه عبداً لأخس العبيد وجعل نفسه الملائكية عبداً لنفسه الشهوية ..

٤ ـ وهؤلاء عبيد اللذات اذا وجدوا من يزهد في هذه اللذة وفيما يميلون اليه ، فصام واكتفى بقليل من النبات .. عظموه واعتقدوا انه ولي لله ، وانه أرفع من طبقة البشر ، وكل هذا لعجزهم عن فهم أنفسهم وقواها ...

مراتب قوى النفس :

ان قوى النفس اذا رتبت تصاعديا كان ادناها النفس البهيمية ، وأوسطها النفس السبعية ، وأعلاها النفس الناطقة ، لأنها هي التي صيرته انسانا وشبهته بالملائكة ، وباعدته عن الحيوان ، وينبني على ذلك :

ـ أن أشرف الناس من كان حظه من النفس الناطقة أوفر ، وانصرافه اليها اتم وأن من غلبته احدى القوتين الأخريين : السبعية أو الشهوية ، فقد بعد عن هذا الشرف الرفيع بقدر ما بعد عن النفس الناطقة .

ـ وكل ذلك موكول الى الانسان : فمن شاء جعل نفسه مع الملائكة ، ومن شاء جعلها مع السباع ، ومن شاء جعلها مع البهائم ، والمرء حيث يضع نفسه ومن نام عقله ، واستيقظت شهواته ، فكان همه المأكول والمشروب والملبوس وسائر النزوات ، فهو والبهائم على حد سواء ، قويت فيه وفي مثله البهيمية فجذبتهم اليها وضعفت قواهم الناطقة فلم تردهم عنها وصدق عليهم قول الله تعالى : **(أم تحسب أن أكثرهم يسمعون** أو يعقلون ، ان هم الا كالأنعام بل هم **أضل سبيلا)** ٤٤ الفرقان .

ـ والذين يتبعون الشهوات قسمان : قسم به حياء ، لا يجاهر بحيوانيته ، اذا هم بتحصيل لذته ، وقسم شاذ خسيس الطبع وقح فاجر لأنه يجاهر بالحيوانية ، والأول فيه نوع خير ، لأنه يحترم الفاضل المحتشم ، ويود أن لو كان مثله أما الثاني فانه لا خير فيه لأنه ارتضى ما هو فيه ولم ينزع الى ما يرقيه بل

دعا الناس الى ان يكونوا مثله (ويمثل هؤلاء في عصرنا الوجوديون ...) .

اما العاقل فانه ازاء متطلبات البدن ، فانه يسد حاجته بالقدر الضروري ، ثم يجعل همه في نفسه الناطقة .

ا) ففى الغذاء ، يكتفى بما تقوم به حياته ، ويمتدل به مزاجه ، ولا تكون همته فى لذته ، بل فى صحته ، وما يحفظ مروءته ، ولا ينسبه الى البخل بحسب مرتبته .

ب) وفي الملبس ، يهتم بما يدفع اذى الحر والبرد ويستر بدنه بما لا ينسبه الى الشح او يسقطه بين اقرانه .

ج) ومن حيث شهوة النساء فهو يعلم انها لبقاء النوع ، وطلب النسل ، وحق الأهل دون ترك ما يحل لما يحرم .

ـ والعاقل بعد متطلبات البدن ، وتلبيتها على النحو المار ، يجعل همه فى نفسه الناطقة ، فهى التى يصير بها انسانا ، له وزنه وقيمته بين الناس ، وفى المحافل ، وهى التى بها التفاضل بين الناس ، ويكون بها بعض الناس اكثر انسانية من غيرهم .

ـ والاهتمام بالنفس الناطقة يكون بجودة غذائها ، وغذاؤها العلم النافع والراى الصادق ، والحق الواضح ، مع نفور من الكذب والكذابين والباطل والمبطلين . ومن ادبه والده ومعلموه على هذا النحو فهو السعيد ، ومن اهمل فى صباه وشب على غير ما ينبغى ، فعليه ان يفطم نفسه عن الشهوات ، ويتدرج فى تقويمها ومهما يكن فى هذه السبيل من مشقة فان الرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل .

ـ وكثير من الناس عبوا من اللذات ، وعلوا ونهلوا .. ثم تابوا فتاب الله عليهم وهم كبار ، استحكمت فيهم العادات ، ولكنهم جاهدوا انفسهم جهادا كبيرا ، فأنقذوا سفينتهم وقد كانت على وشك ان تغوص .

ـ والعاقل من جعل عقله بمثابة الفارس، ونفسه الفضيلة والشهوة بمثابة الحرس يقودها ولا تقوده ، فانه اذا ترك لها القياد فربما رات عشبا وراء اشواك ووهاد ، فجمحت به واوردته المهالك .

اما اذا كان له القياد ، فانه سيرتاد السبيل الموطأ ، وفى ذلك صلاحهما .

ـ ان انفلات قوتى الغضب والشهوة من سلطان العقل المتدين ، تنكيس فى الخلق ، واستعلاء للهوى، واستعباد للعقل ، وهو تأليه للهوى والشيطان ، وعصيان للرحمن ، وارتكاس الى اسفل سافلين ، مصداق قول رب العالمين **(لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ، ثم رددناه اسفل سافلين ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون)** التين ٤ : ٦ .

فما دام الانسان قد خلق فى احسن تقويم ، وهو يمشي سويا على صراط مستقيم ، أعلاه عقله ، واسفله هواه ، فانه لواجب أن يكون فى السلوك والعمل على هذا النحو ، المتمشي مع خلقه ، عقله يتحكم فى هواه ، وما علا فيهما سفل ، أما اذا اعلى هواه وحكمه فى عقله ، فانه يرد نفسه الى اسفل سافلين ، ولن

يستقيم له أمر حتى يعود الى الوضع السليم ، ويحكم العقل فى الهوى ، وهذا هو شأن المؤمنين العاملين الصالحات ، الذين لهم أجرهم غير ممنون .

ـ والذي يدنس نفسه الشريفة ، ويحكم فيها هواه المهلك ـ يشبه من معه جوهرة ثمينة لا تقدر بمال لنفاستها ، ولكنه بجهله وحمقه يلقى بها فى النار ، فيتلف جوهرها ، ويبطل منافعها ويجعلها لا تساوى شيئا .

ـ والنفس الناطقة اذا تأدبت بأدب الله ، وفهمت ما صدر عن الله ، ثم استولت على سائر القوى ، فاستنهضت قوة الغضب حيث يجب الغضب ، كانتهاك حرمات الله ، وحيث تجب النجدة والشهامة ، وحيث يستعذب الاستشهاد ، واسكنتها حيث تجب الرحمة للمؤمنين ، وفعلت مثل ذلك بالقوى الأخرى ـ اذا فعلت ذلك فقد بلغت الكمالين العلمى والعملى وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

ترتيب قوى النفس من حيث الظهور ، ثم استخدام ذلك فى التربية :

١ ـ ان اول قوة تظهر فى الانسان هى شهوة الطعام ، والطفل يشتاق الى الغذاء لانه سبب الحياة ، والطفل يتحرك لرشف اللبن من ثدى امه دون معلم ، واذا افتقده طلبه بالصوت ، وهو البكاء ، وهذا دليل احساسه بالجوع والمه ثم الغذاء ولذته ، وكلما تغذى نما ، حتى اذا استطاع سعى بنفسه ليحصل على طعامه .

٢ ـ والقوة الثانية فى الظهور هى قوة الغضب ، والطفل يحتاج اليها ليدفع عنه ما يؤذيه ، وليقاوم من يمنعه من تحقيق رغباته ، وان استطاع الدفع بنفسه فعل ، فان عجز استصرخ أبويه بالنداء أو البكاء .

٣ ـ ثم تظهر قوة التمييز ، التى يميز بها الانسان الأفعال ومتى تمت له سمي عاقلا . وهذه القوى ضرورية للانسان ، يصل بها الى غاية الغايات ، وهى ادراك الخير المطلق الذى به يصير الانسان انسانا .

واول صفة تبشر بالخير فى الانسان صفة **الحياء** ، وهو الخوف من ظهور شيء قبيح منه ، ومتى ظهر هذا الخلق فى صبى فقد دل ذلك على عقل يميز القبيح من الحسن ويصاحبه الاطراق بالطرف ، لا وقاحة ولا تحديق ، وواجب المربين حينئذ ان يهتموا بهذه الصفة ، ولا يهملوها ، ففى اهمالها وترك الطفل يعاشر الوقحين فساد كبير .

ـ وان افضل ما يؤصل الجهاد وينميه **الشعور بالكرامة** التى لا تستمد من الغنى او الحسب اوالنسب وانما من الدين والتزام آدابه ، والتزام معاشرة الأخيار ، ثم مدح الأخيار أمامه ، ومدحه هو اذا صنع جميلا او ابدى خلقا حسنا ، ثم تخويفه من الذم والاتيان بالقبيح ، ويؤاخذ اذا اشتهى المآكل والمشارب والملابس الفاخرة .. ويحبب فى الترفع عن كل هذا ، ويحبب فى الايثار لغيرهعلى نفسه، مع اقتصاره على الاعتدال ، فى هذه اللذائذ ونحوها .

ــ وينبغي أن يكره في الملابس الملونة وأن يعلم أنها خاصةبالنساء ، وكذلك المنقوشة وان الرجال لا يصلح لهم ما هو خاص بالنساء ، ويجب تكرار هذا الوعي حتى يصبح عادة له ، وذلك من كل المحيطين به العاملين على تربيته .

وكذلك يبغض في الكذب والالحاح ، والفضول ، ويسار به في مجال التاديب حالا بعد حال حتى يسير في خط الكمال .

ــ وينصح علماء النفس الاسلاميون بأن يستعان في طور التاديب على غرس الحياء والادب بمدح الطفل على كل جميل يعمله ، فان خالف لأول مرة يتغافل عنه ، ولا يكاشف ولا يوبخ ، فان عاد وبخ سرا وعظم ما أتاه من مخالفة وحذر من العود ، اما المكاشفة العلنية فانها تجعل الطفل وقحا ، واذا كثرت استهان بها .

ــ ولآداب الطعام وغرسها في الطفل أثر كبير في تربيته ، واساس الغذاء انه للصحة وليس للذة والغذاء مادة للحياة ، والصحة البدنية وسد لألم الجوع ، وكما ان الدواء لا يؤخذ الا بمقدار فكذلك الطعام لأنه دواء الم الجوع ، فلا يؤخذ منه الا بمقدار ما يدفع الم الجوع ، وكما أن الدواء لا يستكثر منه تلذذا به فكذلك الطعام الذي لا يؤخذ منه الا بمقدار ما يمنع الجوع والضعف والمرض ، أما الشره فيه والرغبة في تعدد الوانه والتحديق فيه والتهامه بنهم والاسراع في ازدراده ، ومزاحمة الآكلين ، وتلطيخ اليدين والوجه والثوب .. فكل هذه نقائص يجب البعد عنها .

ويحبب الطفل في ضبط نفسه ، وايثار غيره، والتزام الجانب الصحي للطعام فقط ، وينصح الامام الغزالي بأن يتناول الطفل الخبز القفار احيانا حتى لا يرى الأدم واجبا ، كما ينصح بالفراش الخشن حتى لا يسخف بدن الطفل .

وينصح العلماء بأن تكون الوجبة الرئيسية في العشاء أما في النهار فيحسن الطعام الخفيف حتى لا يتثاقل الانسان ويتكاسل ويتبلد فهمه ، ويجب أن يحرم عليه تناول الانبذة والمسكرات والشرع لم يحرمها الا لضررها البليغ بالجسم والعقل ، وحمل صاحبها على سرعة الغضب والاجتراء على القبائح وسائر الخلال المذمومة ، كما يجب أن يبعد عن مجالس السكر مهما يكن فيها من مغريات شعر أو ادب أو فكاهة ولا يغشى المجالس التي فيها هذا الا اذا خلت من المسكرات .

ــ وغير الطعام هناك آداب كثيرة يتخلق بها الطفل ، فلا يعود نوم النهار ولا النوم الكثير ولا وسائل الترف بل المشي والحركة وركوب الخيل وضروب الرياضة وعدم الفخر على الاقران بالحسب أو النسب أو المال ، ويمنع من الحلف بتاتا ، ويعود حسن الكلام وحسن الاستماع .

فعن جابر بن سمرة رضي اللهعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لأن يؤدب الرجل ولده خير له من ان يتصدق بصاع » (رواه الترمذي) وقال عليه الصلاة والسلام : « الزموا اولادكم واحسنوا ادبهم » (رواه ابن ماجه) .

بأقلام القراء

ان تنصروا الله ينصركم

كان اول امر نزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قول الله تبارك وتعالى : (**يا ايها المدثر . قم فانذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر .**) (المدثر /١ — ٧)

وذلك بعد أن نزل عليه صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى : (**اقرا باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم .**) العلق / ١ — ٥ .

والمعروف أن أول سورة العلق كان اول ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم . وكان ذلك هو أول عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بالوحي ، وأول عهده كذلك بأمين الوحي « جبريل » عليه السلام ، وكان في هذا الأمر من الغرابة والرهبة ما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يعود مرتجفاً الى السيدة خديجة رضي الله عنها يقول « زملوني زملوني ، دثروني دثروني » فزملوه ودثروه (أي جعلوا عليه الغطاء) ونام في فراشه صلى الله عليه وسلم حتى ذهب ما به وسكن .

وواضح أن قول الله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم « **يا أيها المدثر** » انما هو تذكيرله صلى الله عليه وسلم بموقفه من الوحي في المرة الأولى ، في أول عهده بالوحي .

جاء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا الموقف الشديد الرهيب الذي فوجيء به عليه الصلاة والسلام في المكان المقفر الموحش المخيف في غار حراء .

ومع ذلك فان الوحي لم يجيء ليقول للرسول عليه الصلاة والسلام : استمر في راحتك ، ولا ليقول له : عليك وقت طويل فارقد ، ولا ليقول له : كفى ما حدث لك ، ولا عليك بعد ذلك . لم يقل الله تبارك وتعالى للرسول صلى الله عليه وسلم شيئا من ذلك كله .

بل قال له قم .. فليس عملك النوم . قم .. فليست مهمتك الراحة . قم .. فليس شأنك الخمول . قم ... فأنت رسول الله الى الدنيا كلها قم فأنت البشير . قم .. قم .. فأنت رحمة من الله الى العالمين .. قم فانذر .

وان الرسول صلى الله عليه وسلم حين ينفذ امر الله ، ويقوم بالانذار ، انما يقوم وحده لينذر قوما ليس منهم احد يرى رأيه . ليس منهم احد يقر حكمه . ليس منهم احد يصدق قوله . بل ليس منهم الا من يعادي ويخاصم ويعاند ويكيد ويحارب . لا يخرج من ذلك الا من شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه .

ان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم يعطينا الأمل القوي ، الأمل العريض الواسع في الفوز والظهور . ويعطينا كذلك : الدافع القوي الحثيث في الاعتماد على الله في امورنا ، والتوكل عليه في كل شئوننا والثقة فيه ، والاطمئنان اليه .

ان الأمر لو كان أمر اسباب اعتادها الناس والفوها ، ما كان يمكن — فيما اعتاد الناس وألفوا — ان يكون انسان واحد يواجه الناس جميعا بما يخالف اقدس مقدساتهم ، واقوى معتقداتهم ، ثم هو بعد ذلك ينجح ويفوز ويظهر ويعلو . ولكنه امر الله الذي لايرد ، وقدره الذي لايغلب ومشيئته التي تفعل ما تشاء ، وقدرته التي لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء . ان قدرة الله سبحانه وتعالى قد جعلت من الاستحالة العادية : امرا ممكنا ، واقعا ، وخالدا . جعلت من شخص الرسول صلى الله عليه وسلم وحده امة من خير ما أخرج الله للناس من امم **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** وتؤمنون بالله) آل عمران / ١١٠ . وهذه الأمة هي : امة الاسلام . ونلاحظ أن الله تبارك وتعالى قد وصفها بهذا الوصف تحت ظلال ثلاثة : ايمان بالله ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر . وسيبقى لها هذا الوصف ما بقيت تحت تلك الظلال . فاذا ما خرجت هذه الأمة عن أمر ربها ، فلا بد أن يذيقها الله وبال أمرها : **(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال)** الرعد /١١

ولا يخفى ما وصل اليه حال المسلمين اليوم . فاذا أرادوا أن يغير الله حالهم ، فلا بد لهم من أن يرجعوا الى أمر ربهم . ولن يصلح أمر هذه الأمة الا بما صلح به أولها . بكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ان الأمة العربية كانت لا تساوي شيئا ، فما كانت ولا ظهرت ولا غلبت ، ولا علت ، الا يوم أن رضيت بالله تعالى ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا .

فيا أخي المسلم في كل مكان :

انت مسلم : ربك الله ، اله واحد لا شريك له . رسولك محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء ، لا نبي بعده . كتابك القرآن الكريم . **(وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد)** فصلت/٤١ و ٤٢ .

يا أخي المسلم : أنت تحيا في ظل الله ، وتهتدي بكتاب الله ، ويقودك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتقدم وأنت تحمل اللواء . تقدم فان بيدك قارورة الدواء . تقدم بالحق ، فما اكثر الذين تقدموا بالباطل . تقدم واعرف نفسك : **(ولا تهنوا ولا تحزنوا ، وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين . ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين ، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين)** آل عمران / ١٣٩ — ١٤١ . **(يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)** محمد / ٧ .

للاستاذ : **فـؤاد الجبالـي**



كتبت مجلة الرائد الهندية تحت عنوان :

رجعـــة الى الماضي

المبدأ الذى يقوم على اساسه مجتمع الاسلام المثالى انما ينبع من طبيعة الانسان الحقة وضميره الحى ولذلك فانه موجود فى كل زمان ومكان ، والعمل به ميسور فى كل حى وبلد ، وفى كل جيل وأمة ، أما ما يقال من ان ذلك المجتمع انما كان يخص أمة الماضي والانسان السابق ، وقد انقضى دوره بانقضـــــاء عهدهما ، وتم له ما اراد من نشر العدل والصلاح ولم تعد اليه حاجة الانســـان الجديد بعد ما فقد كل صلاحية للقياة والتأثير ، فليس لمثل هذا القول او الشعور مبرر ، اذ ان تبرير هذا الكلام او مثله معناه الاعتراف بتغير الطبيعة الانسانية وتغير الفطرة التى فطر عليها الانسان ، وكلتاهما لا تتغيران لأنهما شيئان كالروح وأمران كالذات ، وهل تتغير الارواح والذوات .. ؟

فالمبدأ الحقيقى للاجتماع والتعايش هو ما انزله الله تعالى على رسوله فى الكتاب ، وبينه فى آياته الكثيرة مما يستوعب الحياة كلها بأصولها وفروعها ، وقد كانت حياة السلف الصالح من المسلمين تفسيرا لهذا المبدأ ، وتقريرا لمـــا جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعمل به أتباعه من المؤمنين الأولين من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين .

والحقيقة أن المفاهيم والمقاييس تتغير بتغير الأوضاع وتجدد الاحوال ، ولكن المبادىء والأسس لن تقبل أى تغير أو تجديد رغم جميع ما حدث أو يحدث فى الناس من أمور وشؤون ، وأحوال واحداث وذلـــك مما لا يقبل الجـــــدل والنقاش .

ومن هنا يتبين أن مدار الخطأ فى مثل هذه الأمور هو اطباق العيون عن مشاهدة الحقيقة وصرف النظر عما هو المبدأ الثابت والأساس القائم الذى يقوم عليه جوهر الحياة الانسانية ، والطبيعة البشرية ، وكلما بذلت محاولة لتطـــوير ما يتعلق بالذوات والمعانى وكلمـــــا قام أناس يهتفون بالدوران مع الأحداث والأوضاع حرمت الحياة منافع الأمن والدعة ، ومصالح الراحة والطمـــانينة ، ووقعت فريسة الاختلال والفساد وراحت ضحية الفرقة والفوضى ، والتفسخ والانحلال وعاد المجتمع الانسانى غابة كثيفة يعيش فيها البهائم والسباع ، من

غير أن يكون هناك مسكة من قانون أو حرمة للشريعة .
وما أكثر هذه الصورة انطباقا على مجتمع الناس اليوم .. !

تحت معنى :

« أهل الدعوة »

كتبت مجلة جوهر الاسلام التونسية :
كم هى الأسباب التى تجمعت بين أيدى المسلمين فى عصرنا الحاضر لتجعلهم يتسنمون الذرى ويختصرون الأبعاد ويلتحقون بالجحافل الزاحفة صوب السماء ، فهم وحدهم الذين يحتفظون بالخصب فى كل مجالات الحياة : فأرضهم تزخر بالخامات وتعج بالذهب الأسود ومواقعهم الجغرافية تمثل الثغور الحصينة فى كل مكان وتراثهم الروحى احتفظ وحده دون أى تراث آخر بالنصاعة والسلامة والاشراق ، لم تستطع اية يد آثمة أن تعبث به أو تبدل نصوصه الخالدة التى احتفظت ببريقها السماوى واعجازها الالهى ، بيد أن هذه الخامات وتلك المدخرات وهاتيك الحضارة لن تستطيع أن تحقق شيئا اذا لم تشحذ العزائم وتطهر النوايا وتنطلق الهمم الخابية الى مجال الابداع والخلق ومجالات العمل الانشائى فى كل الميادين ، ذلك ان الانسان الذى كان الهدف الاول لكل رسالة اصلاحية ولرسالتنا الاسلامية بوجه اخص مطالب بأن يتوجه الى نفسه باديء ذى بدء فيصلح منها ما افسدته الايام ويجاهد ما فيها من غرائز الشر الوافدة من هنا وهناك لأن الله سبحانه وتعالى قد تاذن ان لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.وأن يهدى الذين جاهدوا فيه الى سبله الواضحة الآمنة ، أن الدعوة الاسلامية لم تفلح بالأمس ولن تفلح فى الحاضر وفى المستقبل الا اذا جمع اهلها بين ايديهم طاقة ايمانية لا تثنى وعزيمة فولاذية لا تقهر .

ان الاسلام فى سموه وتجرده وحبه للناس يفرض على من يدعو اليه أن يكون بعيدا عن الأنانية والطمع لا يرمى من وراء جهاده الشريف وعمله النظيف الا الى ارضاء الله تبارك وتعالى واسعاد الانسانية فهو الصفاء المطلق وهو الحب البريء وهو الى جانب ذلك النظرة البعيدة المحيطة باسرار التشريع الاسلامى وحكمه البالغة التى لا يحجبها عن الناس شيء سوى الجهل بها ولقد هيأت الكشوفات العلمية الاخيرة جميع الفرص لأهل الاسلام كى يقتنعوا به ، انها وايم الله فرص ذهبية تزيد الذين آمنوا ايمانا وتقطع ريب الذين فى قلوبهم مرض .

فاذا ما انتهزت هذه الفرص ودعمت بالاخلاص والتجرد فان الحل للمشاكل الانسانية المعقدة سيصبح بين أيدى الجميع وسيكتب الله لهذه الأمة فى آخر الزمان كما كتب لها فى أوله أن تكون الأمة المنقذة والوارثة ولقد صدق ربنا حين قال : **(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)**



عبد الله بن جعفر

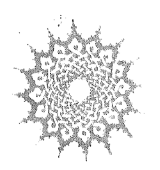
كان رضي الله عنه سخيا كثير العطاء .. لم يكن فى عصره من هو أكثر سخاء وجودا منه .. كان يتزين رضي الله عنه بأشرف ملابس الدنيا ، واسترها للعيب ، واجلبها للحمد ذاك هو لباس الكرم .. والكرم صفة من صفات الله .. ومن كان كريما فقد تسمى بصفته تعالى سبحانه .. وقد مسح رسول الله على راسه وقال : « اللهم اخلف جعفرا فى ولده » ذلكم هو عبد الله بن جعفر .

اسمه : عبد الله بن جعفر بن ابى طالب بن عبد المطلب الهاشمى القرشي .

أمه : اسماء بنت عميس الخثعمية ، اخت ميمونة بنت الحرث لامها .

مكانته : صحابى جليل ، ولد بأرض الهجرة الأولى « الحبشة » ، وكان والده « جعفر » رضي الله عنه ، وامه « اسماء » قد هاجرا اليها .. بل كان ابوه امام المهاجرين الى الحبشة .. وكان عبد الله اول من ولد بها للمسلمين .. وهو آخر من راى النبى صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم .

والده : من أوائل المسلمين .. واوذى فى سبيل الله فصبر ، ولما اشتد اذى المشركين على المسلمين هاجر جعفر الى الحبشة .. وكان امير المهاجرين .. شرح للنجاشي تعاليم الاسلام وموقف المشركين فى مكة ، ومقدار الأذى الذى ينزلونه بالمسلمين ، ولما بعثت قريش عبد الله بن ابى ربيعة وعمرو ابن العاص الى النجاشي ليطلبا منه رد المسلمين الى مكة ، دعا النجاشي جعفرا وسأله عن دينه وما يقول فى عيسى بن مريم .. فقال جعفر عن عيسى عليه السلام : انه ليس الا عبدا أنعم الله عليه .. فأبقاهم النجاشي فى بلاده آمنين . وكان « جعفر » قائدا فى غرفة « مؤته » حمل الراية ودافع عنها حتى استشهد فى سبيل الله بعد ان قاتل قتال الأبطال .. وكان يقول :



إعداد : فهمى الامام

يا حبذا الجنة واقترابها
طيبة وباردا شرابهـــا
والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيدة أنســـابها
علي ان لاقيتها ضرابها

دعاء الرسول صـــلى الله عليه وسلم له : استـــشهد جعفر فى ســبيل الله وعمره ثلاثة وثلاثون عاما .. وترك اولادا صغارا .. فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم على راس عبد الله وقال : « اللهم اخلف جعفـرا فى ولده » وفى رواية : « اللهم اخلف جعفرا فى أهله وبارك لعبد الله فى صفقة يمينه » .

وقال صلى الله عليه وسلم لأسماء والدة عبد الله : « العيلة تخافين عليهم ، وانا وليهم فى الدنيا والآخرة ؟ » .

روايته للحديث : حفظ عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى عن ابيه وعمه على بن أبى طالب ، وابى بكر ، وعثمـــان ، وعمار بن ياسر ، وروى عنه ابناه اسماعيل واسحاق ، وعروة والشعبى وغيرهم .

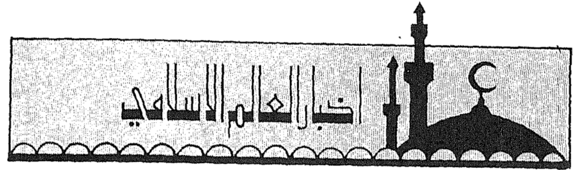
كـــــــرمه : اقام عبد الله بالمدينة وكان ينفق ماله فى سبيل الله دائما .

فقيل له : انك اسرفت فى بذل المال .

قال : ان الله قد عودنى أن يتفضل علي ، وعودته أن أتفضل على عباده ، فاخاف أن أقطع العادة فيقطع عنى .

ورعـــــه : روى بسند حسن أن دهقانا من اهل السواد كلم عبد الله بن جعفر فى ان يكلم عليا كرم الله وجهه فى حاجة فكلمه فيها فقضاها ، فبعث اليه الدهقان اربعين الفا فردها عبـــد الله وقال : انا لا نبيع معروفا .

وفـــــاته : مات بالمدينة سنة ثمانين من الهجرة عن تسعين عاما ، وصلى عليه ابان بن عثمـــان وهو أمير المدينة يومئذ لعبد الملك بن مروان . فرحم الله عبد الله ورضي عنه .



اعداد : ف. ع. م

الكويت : عاد الى البلاد سمو الأمير المعظم يوم السبت الحادى عشر من اكتوبر ، وقد جرى لسموه استقبال رسمى وشعبى حافل كان فى مقدمة المستقبلين سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء والوزراء واعضاء مجلس الأمة وكبار الرسميين .

● زار البلاد الرئيس الأوغندى عيدى أمين على راس وفد كبير .. وقد جرى لسيادته وللوفد المرافق استقبال رسمى كان فى مقدمة المستقبلين سمو امير البلاد المعظم .. وعقدت اجتماعات رسمية بين الجانب الكويتى برئاسة سمو الأمير المعظم والجانب الأوغندى برئاسة الرئيس عيدى أمين .. ودار النقاش حول تدعيم العلاقات العربية الافريقية بصورة عامة .. وبين أوغندا والكويت بصورة خاصة .

● دعت الكويت الى عقد مؤتمر طارىء لوزراء الخارجية العرب لتدارس الوضع المؤسف والمتدهور فى لبنان ، ولايقاف نزيف الدماء البريئة ، وصيانة وحدة لبنان واستقراره جاء ذلك فى بيان اصدرته الأمانة العامة لمجلس الوزراء .

● استقبل السيد وزير العدل والأوقاف والشئون الاسلامية وفد جبهة تحرير مورو الاسلامية فى الفلبين وذلك لشرح اوضاع المسلمين ولطلب الدعم المالى والمعنوى .

● زار البلاد وفد من رابطة مسلمى جمهورية المانيا الاتحادية برئاسة السيد جمال الدين ناصر نائب رئيس الرابطة ، واجرى الوفد مباحثات مع المسئولين فى وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية تناولت بحث امكانية مساهمة الكويت فى مشروع اقامة المسجد الاسلامى فى ميونيخ ، ودراسة اوضاع المسلمين هناك .

● واستقبل السيد وزير العدل والأوقاف والشئون الاسلامية رئيس المجلس الاسلامى بجمهورية سيلوفونيا بيوغسلافيا وذلك للتباحث معه حول تعزيز الروابط الاسلامية بين البلدين ، كما استقبل السيد الوزير مدير الجبهة المتحدة لتحرير الصومال الغربى ببغداد ، وذلك لشرح حالة المسلمين هناك وكيفية التعاون بين مسلمى البلدين ، كما استقبل الوزير ايضا رئيس جمعية الصداقة العربية الصومالية الاسلامية .

● صرح السيد عبد الرحمن الفارس الوكيل المساعد لوزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية بأن الوزارة اتخذت كل الترتيبات والاستعدادات لموسم الحج هذا العام ، فجهزت استراحة الحجاج بكل ما يلزمها وتم تخصيص طبيب مناوب طوال ٢٤ ساعة ، وتأمين مضمدين ،

● عقدت لجنة صندوق المعونة الطبية اجتماعا برئاسة السيد عبد الله المفرج وزير العدل والأوقاف والشئون الاسلامية وذلك للنظر فى الطلبات المقدمة اليها .. ووافقت اللجنة على ارسال اربعة مرضى للعلاج فى الخارج على نفقة الصندوق .

وصيدلية كاملة ، وخدمات اخرى طيلة تواجد الحجاج فى الكويت ، هذا ومن المنتظر ان يمر بالكويت فى طريقه الى الحج ٨٠ الف حاج من العراق وايران وأفغانستان وباكستان وسوريا وتركيا .

السعودية : بعثت رابطة العالم الاسلامى بمجموعة كبيرة من الكتب الدينية ومصحف مكة المكرمة الى المدرسة النورية الاسلامية بجمهورية التوجو بأفريقيا .

● تحدث معالى الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ وزير المعارف فى مقابلة تليفزيونية عن الاقبال الكبير من اليابانيين على اعتناق الدين الاسلامى الحنيف . وأشار الى انه شهد لقاء فى المركز الاسلامى فى طوكيو مع الف شخص من اليابانيين الذين اعلنوا اسلامهم أمامه مؤكدين انهم وجدوا فى الاسلام من المثل والمبادىء الانسانية العليا ما لم يجدوه فى الاديان الاخرى .

● بحث معالى وزير المعارف مع السفير الفرنسي لدى المملكة موضوع انشاء معهد للدراسات العربية والتراث الاسلامى فى باريس ليكون حلقة وصل بين الحضارات العربية والاوروبية .

● تتم اضاءة المسجد الحرام فى مكة المكرمة بثريات كهربائية حسب أحدث وسائل الاضاءة وقد خصص لذلك مبلغ ١٣٠ مليون ريال .

مصر : عقد الاجتماع الطارىء لوزراء الخارجية العرب الذى دعت اليه الكويت بمقر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية لبحث الأزمة اللبنانية .

● تقرر أن يشكل شيخ الأزهر مجلس ادارة لكل مستشفى جامعى ازهرى ، وسينفذ المشروع مع بداية العام الجامعى الجديد .

● سيقدم لكل امام مسجد كفيف بوزارة الأوقاف جهاز تسجيل (كاسيت) هدية من الرئيس السادات بهدف تمكين الامام الكفيف من تسجيل الخطب والأحاديث للاستفادة بها فى نشر الدعوة وتأدية واجبه الدينى .

فلسطين : عثر البوليس الاسرائيلى على ٤١ مفجرا لشحنات متفجرة فى حقائب سيدة عربية عمرها ٩١ عاما .. كانت تهربها داخل الأرض المحتلة ..

لبنان : ما زال الاضطراب وأعمال العنف تسيطر على لبنان .. وقد افادت الأنباء ان الجامع العمرى الواقع فى ساحة المعرض قد اشتعلت فيه النيران ، وهذه هى المرة الاولى التى يتعرض فيه صرح دينى لعمل تخريبى .. و « الوعى الاسلامى » ترجو الله ان ينقذ لبنان من شر الفتن ، وان يثوب المتقاتلون الى رشدهم .

المغرب : دعا الملك الحسن ملك المغرب الى مسيرة سلمية يشترك فيها ٣٥٠ الف شخص لتتوجه الى الصحراء المغربية التى تحتلها اسبانيا بعد الحكم الذى أصدرته محكمة العدل الدولية .

ايام الاسبوع	ذي القعدة ١٣٩٥	نوفمبر ١٩٧٥	نوروز	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
				فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
				س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
اربعاء	١	٥	٨٧	١١٤٢	١ ٣	٦ ٣٢	٩ ٣٨	١ ١٩	٤ ٤٣	٦ ٣	١١٣٢	٢ ٣٩	٥ ٠٠	٦ ١٩
خميس	٢	٦	٨٨	٤٣	٤	٣٢	٣٨	١٩	٤٣	٤	٣٢	٣٨	٠٠	١٩
جمعة	٣	٧	٨٩	٤٥	٥	٣٣	٣٨	١٩	٤٤	٤	٣٢	٣٨	٤ ٥٩	١٨
سبت	٤	٨	٩٠	٤٦	٧	٣٤	٣٨	١٩	٤٤	٥	٣٢	٣٧	٥٨	١٨
احد	٥	٩	٩١	٤٧	٨	٣٤	٣٩	٢٠	٤٥	٦	٣٢	٣٧	٥٨	١٧
اثنين	٦	١٠	٩٢	٤٨	١٠	٣٥	٣٩	٢٠	٤٥	٦	٣٢	٣٧	٥٧	١٧
ثلاثاء	٧	١١	٩٣	٤٩	١١	٣٦	٣٩	٢٠	٤٦	٧	٣٢	٣٦	٥٧	١٧
اربعاء	٨	١٢	٩٤	٥١	١٢	٣٦	٣٩	٢٠	٤٧	٨	٣٢	٣٦	٥٦	١٦
خميس	٩	١٣	٩٥	٥٢	١٤	٣٧	٣٩	٢٠	٤٨	٩	٣٢	٣٥	٥٦	١٦
جمعة	١٠	١٤	٩٦	٥٣	١٥	٣٨	٣٩	٢٠	٤٨	١٠	٣٢	٣٥	٥٥	١٥
سبت	١١	١٥	٩٧	٥٤	١٧	٣٩	٤٠	٢٠	٤٩	١١	٣٣	٣٥	٥٤	١٥
احد	١٢	١٦	٩٨	٥٥	١٨	٣٩	٤٠	٢٠	٤٩	١١	٣٣	٣٤	٥٤	١٥
اثنين	١٣	١٧	٩٩	٥٧	١٩	٤٠	٤٠	٢١	٥٠	١٢	٣٣	٣٤	٥٣	١٤
ثلاثاء	١٤	١٨	١٠٠	٥٨	٢٠	٤٠	٤٠	٢١	٥١	١٣	٣٣	٣٤	٥٣	١٤
اربعاء	١٥	١٩	١٠١	٥٩	٢٢	٤١	٤١	٢١	٥٢	١٤	٣٣	٣٣	٥٣	١٤
خميس	١٦	٢٠	١٠٢	١٢٠٠	٢٣	٤٢	٤١	٢١	٥٣	١٥	٣٤	٣٣	٥٢	١٤
جمعة	١٧	٢١	١٠٣	١	٢٤	٤٢	٤١	٢١	٥٣	١٦	٣٤	٣٣	٥٢	١٣
سبت	١٨	٢٢	١٠٤	٢	٢٥	٤٣	٤١	٢١	٥٤	١٦	٣٤	٣٣	٥٢	١٣
احد	١٩	٢٣	١٠٥	٣	٢٦	٤٣	٤١	٢١	٥٤	١٧	٣٤	٣٢	٥١	١٣
اثنين	٢٠	٢٤	١٠٦	٤	٢٧	٤٤	٤١	٢١	٥٥	١٨	٣٥	٣٢	٥١	١٣
ثلاثاء	٢١	٢٥	١٠٧	٤	٢٨	٤٤	٤١	٢٢	٥٥	١٩	٣٥	٣٢	٥١	١٣
اربعاء	٢٢	٢٦	١٠٨	٥	٢٩	٤٥	٤١	٢٢	٥٦	٢٠	٣٥	٣٢	٥١	١٢
خميس	٢٣	٢٧	١٠٩	٦	٣٠	٤٥	٤١	٢٢	٥٦	٢٠	٣٦	٣١	٥٠	١٢
جمعة	٢٤	٢٨	١١٠	٧	٣١	٤٦	٤١	٢٢	٥٧	٢١	٣٦	٣١	٥٠	١٢
سبت	٢٥	٢٩	١١١	٨	٣٢	٤٦	٤١	٢٢	٥٨	٢٢	٣٦	٣١	٥٠	١٢
احد	٢٦	٣٠	١١٢	٩	٣٣	٤٧	٤١	٢٢	٥٩	٢٣	٣٧	٣١	٥٠	١٢
اثنين	٢٧	ديسمبر	١١٣	١٠	٣٤	٤٧	٤١	٢٢	٥ ٠٠	٢٤	٣٧	٣١	٥٠	١٢
ثلاثاء	٢٨	٢	١١٤	١١	٣٥	٤٨	٤١	٢٢	٠١	٢٥	٣٧	٣١	٥٠	١٢
اربعاء	٢٩	٣	١١٥	١١	٣٥	٤٨	٤١	٢٢	١	٢٥	٣٨	٣١	٥٠	١٢

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص.ب ٤٢٢٨ بيروت — لبنان — او بمتعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار ٧ شارع الصحافة .

السودان : الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيا : طرابلس الغرب : دار الفرجاني — ص.ب : (١٣٢) .
بنغازي : مكتبة الخراز — ص.ب : (٢٨٠) .

المغرب : الدار البيضاء — السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكي .

تونس : مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع فرنسا .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب (٤٢٢٨) .

الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جدة : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) .
الطائف : برحة نصيف / مكتبة جدة .
مكة المكرمة : برحة نصيف / مكتبة جدة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

البحرين : المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين .

قطر : الدوحة : مؤسسة العروبة — ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبي : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبي : مكتبة دار الحكمة ص.ب : (٢٠٠٧) .

الكويت : مكتبة الكويت المتحدة . ص.ب : (٦٥٨٨) .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

الثمن

- الكويت ٥٠ فلسا ● السعودية ١ ريال ● العراق ٧٥ فلسا ● الاردن ٥٠ فلسا
- ليبيا ١٠ قروش ● تونس ١٢٥ مليما ● الجزائر دينار وربع
- المغرب درهم وربع ● الخليج العربي ٧٥ فلسا ● اليمن وعدن ٧٥ فلسا
- لبنان وسوريا ٥٠ قرشا ● مصر والسودان ٤٠ مليما .


وأذان من الله ورسوله إلى الناس
يوم الحج الأكبر
ان الله برئ من المشركين ورسوله